الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٦٦ – صفر ١٤٠٧هـ – أكتوبر ١٩٨٦م

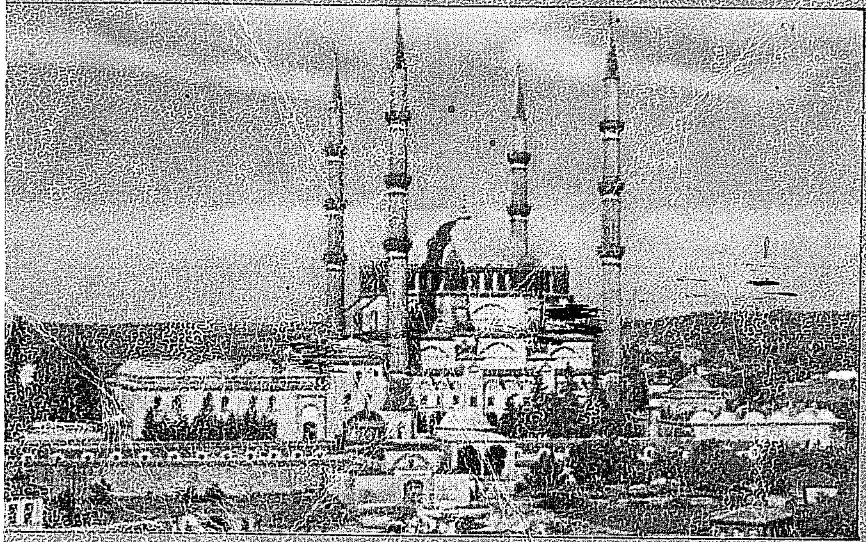

اقرأ

و من الداخل
[ص ٥٢]

سلام وقضية
كل والمضمون
[ص ٦٢]

الثقافة الاسلامية
في الدعوة
[ص ٨٤]

هديتنا
مع العدد
مجلة
براعم الايمان

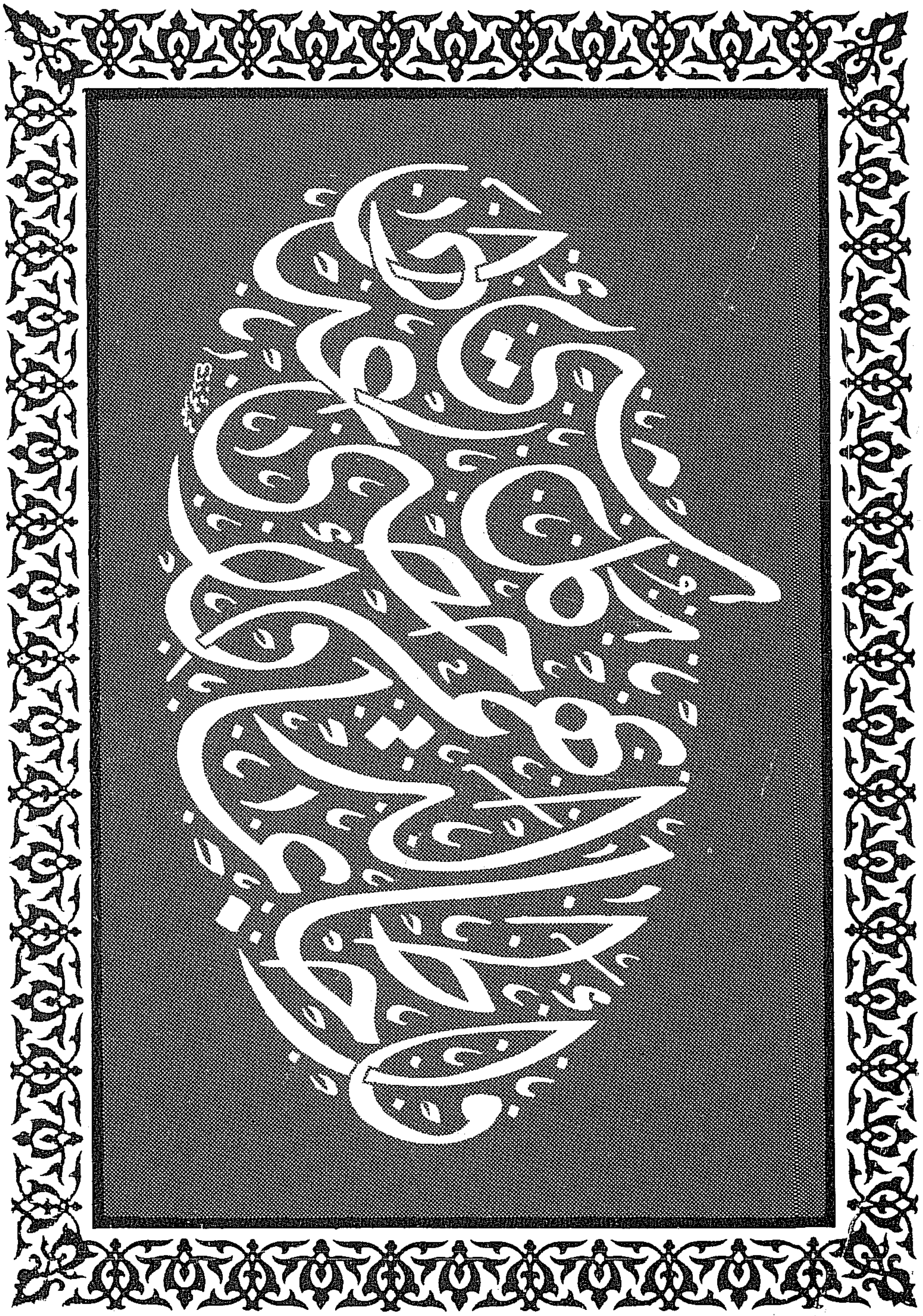

الوعي الاسلامي
AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٦٦ ـ صفر ١٤٠٧هـ ـ أكتوبر ١٩٨٦م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي .

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي
ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤ ٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	١٥٠ مليما
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	درهمان
البحرين	١٥٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا
الاردن	١٥٠ فلسا
سوريا	ليرتان
لبنان	ليرتان
تونس	٢٥٠ مليم
الجزائر	ديناران
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	ريالان
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٣ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٥٠ فلسا كويتيا

في ذكرى الهجرة النبوية الشريفة

إن الذكرى تنفع المؤمنين

احتفلت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية - جريا على عادتها - بذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، بالمسجد الكبير ..

افتتح الحفل بتلاوة القرآن الكريم ، ثم كلمة سعادة الأستاذ وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية ، وتتابع الخطباء الذي ألقوا كلماتهم التي تتناسب وجلال المناسبة ، واستخلصوا منها الدروس والعبر .

ويطيب لـ « الوعي الاسلامي » أن تهنيء المسلمين جميعا بالعام الهجري الجديد داعية الله جلت قدرته أن يجعله عام خير ، وألفة ، ووحدة بين العرب والمسلمين ، ونأمل أن يتغلب المسلمون والعرب على واقعهم الحالي المؤسف ، وأن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله حالهم إلى أحسن حال ... ومع نص كلمة سعادة وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ خالد الجسار : حيث حمد الله وأثنى عليه ، وصلى وسلم على رسول الانسانية محمد - صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

الهجرة هي المنعطف الحاسم في تاريخ الأمة

كلما أظلنا عام هجري جديد كانت لنا إطلالة على ما مضى من تاريخ الاسلام في دولته الأولى ، وامتلأت نفوسنا بمعاني تلك الحادثة الجليلة ، لننظر في أمر حاضرنا ومستقبلنا .. فالهجرة هي المنعطف الحاسم في تاريخ هذه الأمة ، وكل نجاح حصل بعدها فهو من نتائجها .

لم تقتصر أهداف هذه الحادثة على تحول القلة المسلمة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وهم آنئذ مستضعفون مضطهدون والدعوة تواجه طريقا مسدودا ، بل استهدفت هذه الموجة البشرية الفاضلة ايجاد مركز استناد في « يثرب » بعد ما صارت محضنا للاسلام والتقى فيها صبر المهاجرين بتضحيات الأنصار وإيثارهم ، ومن هذا الرعيل الأول والجيل المثالي تكون السور

الحصين لدولة فتية رائدة هي الحد الفاصل بين عهد الاستضعاف وعهد التمكين في الأرض وهي التخطيط والتنفيذ لمستقبل هذا الدين الحنيف الهادف الى اعلاء كلمة الله وانقاذ الانسانية من الظلم والباطل .

واذا كانت حادثة الهجرة لا تخفي عنا تفاصيلها لما يتكرر من استذكارها ـ فان دروسها وعبرها لا تنتهي ، ومعانيها السامية تمثل نماذج فاضلة نصب أعين الدعاة والهداة ولا سيما شعور المسلم أن الله معه في هجرته ونصرته وجهاده ودعوته ، وهذا الشعور الايجابي يفعم نفسه بالأمل مهما ضاقت به السبل واشتدت عليه وطأة الظروف العصيبة لقد كانت هاتان الجملتان

(لا تحزن ، انّ الله معنا) روح الهجرة وشعار الرسول صلى الله عليه وسلم في أصعب المواقف ، حيث أحاط الكفار بالغار وأحكموا حوله الحصار ، واكتملت جميع الأسباب المادية للغلبة عددا وعدة ، فلم يبق الا الموازين الغيبية النابعة من عمق الايمان بالله ويقين الثقة بوعده ونصره ، والاستمداد من عونه وتأييده ، بعيدا عن الأسباب المادية لتوازن القوى واختلالها .. ومع وجوب مراعاة ذلك فانه لا مناص من اعطاء الاعتبار الأكبر للقوة الروحية القائمة على ربط الأعمال بالأهداف والايمان بخالق الأسباب وأنه لا يعجزه شيء ولا حول ولا قوة الا به .

ما أكثر الهجرات الفردية والجماعية في حياة الانسانية ولكن شتان بين هجرة لدفع الأذى الخاص أو الحصول على رغد العيش ، وبين الهجرة النبوية التماسا للتربة الخصبة التي تثمر فيها الدعوة وتؤتى أكلها في مشارق الأرض ومغاربها وتؤدي الى فتح طريق

الدعوّة الى قلوب الناس قبل فتح ديارهم حيث رافق ذلك تحول المسلمين من قلة مستضعفة الى كثرة متعاونة ، وجاء الاذن بالجهاد للدفع عن النفس وتحقيق الذات ، وللدفاع عن مسيرة الدعوة وتكوين الأمة الداعية الى الخير ..

إن الصراع بين العراق وإيران فيه إضعاف للأمة الاسلامية وتمكين للعدو الغاصب

لقد كانت الهجرة تأكيدا لما يتصف به هذا الدين من أنه نظام متكامل ومنهج حياة وأنه لا يعم خيره أنحاء الأرض الا اذا تحولت مبادئه إلى واقع عملي ومجتمع سوي تعلو فيه راية العقيدة ،

ويحتكم فيه الى شريعة الله في جميع شؤون الحياة ، ويؤدي فيه المسلم شعائر دينه ومشاعره آمنا مطمئنا ، ومن ثم تنطلق جحافل الدعوة المنوطة بالأمة التي أخرجت للناس ، لتحررهم من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ومن جور الأديان المحرفة والملل الباطلة الى عدل الاسلام ..

لئن انقضت أحداث الهجرة في حينها ورافق ذلك الفتح المبين الذي لا هجرة بعده ولكن جهاد ونية فإن لكل مسلم فرصة لتحصيل ثواب الهجرة ومنزلتها ، فإن « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

نعم المهاجر من هجر السلبية إلى الايجابية ، وهجر التفرقة الى الوحدة المعتصمة بحبل الله ، وهجر الضعف الى القوة المادية والمعنوية ، وهجر الخور والتخاذل الى علو الهمة وإرادة التغيير ، انه من يهاجر من الاقامة على الضيم إلى الغربة مع العزة واقتحام المخاطر في سبيل الحق يهاجر من الأنانية والأثرة إلى الفداء والإيثار نحتفل هذه الليلة بعظمة رسول الله في هجرته والدوافع لها والباعث عليها وأهدافها السامية ، كل ذلك في سبيل اعلاء كلمة الله ونصرة دينه الأزلي ودين الأنبياء من قبله .. فليت المسلمين اليوم يهجرون الصراع الدائم والخلاف المستمر الذي أضعف قواهم وحطم عزيمتهم ومزقهم شيعا وأحزابا .

ومن المؤسف أن ذلك يرتكب باسم الاسلام ودفاعا عن الاسلام ، وكتاب الله ينادي (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا**) .

ان الصراع الدموي الذي يدور بين الدولتين المسلمتين العراق الشقيق وايران الجارة المسلمة،فيه إضعاف للأمة الاسلامية وتمكين للعدو الغاصب المحتل لديار المسلمين ، وان النزاعات المتتالية بين أجزاء الجسد الواحد من وطننا الكبير تجعل موقفنا ضعيفا في نصرة قضايانا العادلة في ظرف لا تنجح فيه إلا الجهود المتكاتفة حتى للدول القوية الماضية شوطا بعيدا في المدنية والتقدم .

علينا أن نستذكر أن من أهم معاني الهجرة اذابة الفوارق فقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم بين الأوس والخزرج بعد عهد طويل من الحروب الطاحنة فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمة الله إخوانا وكانت المؤاخاة وكان بناء المسجد مركزا للاشعاع ومنطلقا للدعوة ومقرا للدولة ، ففي ذكرى الهجرة استحضار للاخوة الايمانية وفي العام الجديد وقفة للحساب ومحطة للتجديد والتطوير .

وفي ختام كلمتي هذه أدعو الله عز وجل أن يجعل هذا العام عام خير وسلام وعزة للمؤمنين ، وأرفع إلى سمو أمير البلاد وولي عهده الأمين التبريك بالعام الجديد أعاده الله علينا وعلى المسلمين في كل مكان وهم في أحسن حال .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

خبر الأذان

قال ابن إسحاق :

فلما اطمأنّ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانُه من المُهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاةُ والصيام ، وقامت الحدُود ، وفُرض الحلالُ والحرام ، وتبوّأ الإسلام بين أظْهرهم ، وكان هذا الحىّ من الأنصار هم الذين تبوّءوا الدار والإيمان . وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين قدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة لحين مَواقيتها ، بغير دَعْوة ، فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يجعل بُوقا كبُوق يهود الذين يدعون به لصَلاتهم ، ثم كرهه ؛ ثم أمر بالنّاقوس ، فنُحت ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

فبينما هم على ذلك ، إذ رأىعبدُ الله بن زيد بن ثَعْلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحارث بن الخَزْرج ، النداءَ ، فأتى رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بى هذه الليلة طائف : مرّ بى رجلٌ عليه ثَوْبان أخضران ، يحمل ناقوساً فى يده ، فقلت له : ياعبد الله ، أتَبيع هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو به إلى الصلاة ؟ قال : أفلا أدلّك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لاإله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الصلاة ، حىّ على الفلاح ، حىّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لاإله إلا الله .

فلما أخبَر بها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال : إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله ، فقُم مع بلال فألْقِها عليه ، فليؤذّن بها ، فإنه أنْدَى صوتاً منك. فلما أذّن بها بلالٌ سَمِعها عمرُ بن الخطاب، وهو فى بيته ، فخرج إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهو يجرّ رداءَه ، وهو يقول : يا نبىّ الله ، والذى بعثك بالحقّ، لقد رأيت مثل الذى رأى ؛ فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فلله الحمد على ذلك .

نظرات في آية

يقول الله تعالى ، في سورة يونس ، الآية ٣١ : « **قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون** » .

السمع والبصر .. ومكانهما في الانسان

في هذه الآية الكريمة ، عرض معجز لبعض قدرة الله تعالى وعظيم حكمته ، فيما أبدع وصور في هذا الوجود ، وما أقام بين يدي الانسان من دلائل ناطقة بتلك القدرة ، شاهدة على تلك الحكمة ..

ومع هذا فقد ضل عنها كثير من الناس ، فصرفوا عنها عيونهم ، وأغلقوا دونها عقولهم ، وقلوبهم فكانوا من الذين قال الله تعالى فيهم : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون** » (سورة الأعراف : ١٧٩)

وقد جاءت هذه الآية من سورة يونس ، لتوقف الضالين ، الكافرين

من كتاب الله

للاستاذ / عبد الكريم الخطيب

بالله ، في ساحة المحاكمة في هذه الدنيا ، قبل وقوفهم بين يدي الله يوم القيامة ، ومطلوب منهم أن يجيبوا على هذه الأسئلة « من يرزقكم من السماء والأرض ؟

« من يملك السمع والأبصار ؟

« من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ؟

« من يدبر الأمر ؟

ولن يجد إنسان ذو مسكة من العقل ، وهو يواجه بهذه الأسئلة ، واحدا ، واحدا ، إلا ان يقول الله .. الله ربي ، ورب كل شيء ، وخالقي ، وخالق كل شيء !!

فالذي يرزق الناس ، مما ينزل من السماء من ماء ، وما يخرج من الأرض من نبات ، هو الله وحده ، ولن يجد أحد جوابا غير هذا ، لأنه ليس من المخلوقات من يفعل شيئا من هذا ، واذن فليس إلا الله ، القائم على هذا الوجود ، خلقا وأمرا : « **ألا له الخلق والأمر تبارك الله ربُ العالمين** » (الأعراف : آية/ ٥٤)

وليس من يملك السمع والأبصار ، فيمد بهما الانسان ، وييسر له بهما سبيل الحياة ، إلا الله وحده ، خالق كل شيء ، ومالك كل شيء ..

وليس من يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ، إلا الله رب العالمين . فقد خلق الانسان من تراب ، كما يقول تعالى : « **أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا** » (سورة مريم آية/٦٧) ..

ثم من هذا الانسان كان ذلك الجسد الميت ، الذي فارقته الروح ، والله تعالى يقول : « **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون** » (سورة البقرة : آية/٢٨) .

وليس هناك مدبر لهذا الوجود ، وحافظ لنظامه الذي أقامه عليه ، إلا الله خالق هذا الوجود ، ومدبر لنظامه كما يقول تعالى : (**إن الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا**) (فاطر/٤١) ..

● الناس في مواجهة هذا الامتحان ●

هذه الأسئلة ، وكثير غيرها . يجب أن يوردها الانسان على نفسه وأن يتلقى الجواب عليها من النظر في هذا الوجود ، وفي ذاته خاصة ، ثم يتلقى الجواب عليها مما يطوله إدراكه ، ويستشعره قلبه .. ولكن كثيرا من الناس ، لا يلتفتون الى شيء من هذا ، ولا يشغلون أنفسهم به ، حيث استعبدتهم ماديات الحياة ، واستهلكتهم شهواتها ، ولهوها ، ولعبها ، .. كما يقول تعالى :(**وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون**) (يونس/٩٢) .. ويقول سبحانه : « **أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون** » (النحل ١٠٨) .. ويقول جل شأنه لرسوله الكريم : (ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف/٢٨) ..

ولهذه الغفلة المستولية على اكثر الناس ، نزلت عليهم رحمة الله ، فارسل فيهم الرسل ، وأنزل على رسله الكتب ، التي من شأنها أن تسمع الصم وتهدى العمي ، ولكن قليل من الناس هم الذين استضاءت بصائرهم ، وانشرحت صدورهم ، فآمنوا بالله واستقاموا على صراطه المستقيم . كما يقول تعالى : « **كما بدأكم تعودون . فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون** » (الأعراف/٢٩ و ٣٠)

● السمع والأبصار .. وما شأنهما ؟ ●

وهنا أمور يجب أن نقف عندها في قوله (**أم من يملك السمع والأبصار**) ..

فأولا : لم أسندت اليه تعالى ملكية هاتين الحاستين « السمع والأبصار » مع انه سبحانه له ملكية كل شيء في الانسان ، وفي سائر المخلوقات كلها في السموات والأرض .

ثم لم كانت إضافة هاتين الحاستين الى الله تعالى بالملك ؟ « أم من يملك السمع والأبصار » ؟ ولم لم تكن إضافتهما إليه سبحانه بالخلق دون الملك ، لأن ذلك أظهر في تقديرنا ، اذ قد يملك الشيء ، من لايخلقه ،

ولايوجده ، بل تصير ملكيته له من خلق من يَخْلُقْ ، وايجاد من يوجد ؟ والجواب على هذا :

أن السمع والبصر ، هما أظهر حاستين عاملتين في الانسان ، ومؤثرتان تأثيرا ظاهرا في حياته ، فلا تكتمل صفات الادراك للانسان الا بهما فاذا فقدهما سدت دونه جميع منافذ الحياة ، فلا يرى شيئا في هذا الوجود ، ولا يسمع صوتا من قريب او بعيد .. أنه ميت وان كان يمشي على رجلين ، فهو يتخبط في أمواج الحياة تخبط الغريق ..

فعن طريق السمع والبصر جاءت المعرفة الى الانسان ، وتكونت مدركاته ، وأخيلته ، وتصوراته ، وعن طريق السمع والبصر ، تتحول هذه المعرفة الى قوى دافعة ، تحرك الانسان ، وتوجهه الى غاياته في الحياة .. لهذا يقول الله تعالى : « **ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا** » (سورة الاسراء/٣٦) فالسمع والبصر ، هما الحاستان اللتان تمدان الفؤاد ـ القلب ـ بما يبعث مشاعره ، ويحرك اتجاهات دوافعه .. وبغيرهما لا تكون للقلب حياة ، ولا أثر في الحياة .. والسمع والبصر ، هما الحاملان للقلب . بما يحملان من خير أو شر ، ومن هدى أو ضلال ..

واما عن التعبير بملكية الله تعالى للسمع ، والبصر ، دون التعبير بخلق الله سبحانه لهما ، مع أنه خالقهما وخالق كل شيء ـ فإن الملكية تطلق يد المالك فيما ملك ولا ينفى هذا ان يكون المالك ، هو الخالق . فهو يخلق ويملك ما خلق ..

فالتعبير بملكية السمع والبصر لله تعالى ، يعني ان الله سبحانه ، وان منحهما للانسان ، فإن ذلك لا يخرجهما عن سلطانه ، و أنهما يعملان في خدمة الانسان ، اذ يعملان بقدرة الخالق سبحانه ، وبتصريفه لهما ، وهو جل شأنه القادر على ان يسلبهما الانسان ، ويبطل عملهما ، كما يقول الحق تبارك وتعالى : « **قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون** » (سورة الأنعام آية ٤٦) ..

ما جاء في الآية الكريمة من إفراد السمع ، وجمع البصر ، بقوله سبحانه وتعالى :

« **أمن يملك السمع والأبصار** » فما دلالة هذا ، وما السر الذي ينطوى عليه ؟

ان الذي يتتبع الآيات القرآنية في الكتاب الكريم ، التي تتحدث عن السمع والبصر ، يجد ظاهرتين واضحتين ، هما :

أولا : الجمع غالبا بين هاتين الحاستين ، مع تقديم السمع على البصر دائما ، كما في قوله تعالى « **حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون** » (فصلت : آية/٢٠) ويقول جل شأنه : « **وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا**

جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون » (فصلت آية ٢٢) .. ويقول جل شأنه « **ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولاَ أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ماكانو به يستهزئون** »
(الأحقاف آية /٢٦) وهكذا من آيات الله التي تجمع بين هاتين الحاستين ، مقدمة حاسة السمع على البصر !

وثانيا : مجيء السمع مفردا دائما ، حيث لم يرد في القرآن الكريم جمع هذه الحاسة على (أسماع) مع مجيء البصر ، مفردا حينا ، وجمعا على « ابصار » أحيانا اخرى . كما نرى ذلك في الآيات السابقة ، وفي كثير غيرها .. وكذلك اذا عدل عن لفظ البصر ، الى لفظ (العين) فإنه يأتي مفردا ، ومثنى وجمعا ، كما يقول تعالى على لسان امرأة فرعون في شأن موسى عليه السلام : « **وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا** » (القصص آية/٩) وكما يقول سبحانه وتعالى فيما أنعم به على الانسان : « **ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين ● وهديناه النجدين** » (سورة البلد آية/٨ - ١٠) .. ويقول جل شأنه : « **يعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور** » (غافر آية/١٩) ..

وهكذا جاء وضع السمع فى كلام الله تعالى مخالفا بينه وبين البصر ، حيث يجيء السمع مفردا دائما ، ويجيء البصر مفردا او مثنى أو جمعا ..

والسر في هذا - والله اعلم - هو ان بين السمع والبصر اختلافا فى وظيفتهما ، من وجوه :

أولا :السمع هو طريق الى شيء واحد ، هو الصوت الذي يدخل منه الى العصب الخاص به في المخ والصوت - وإن اختلف قوة وضعفا ، أو رقة وخشونة - هو على أي حال شيء واحد في النوع ، وإن اختلف في الدرجة .. وإنه مهما تزاحمت الأصوات على السَّمع ، فإن السمع لا يقبل منها إلا صوتا واحدا ، أو يلفظها جميعا إذا تزاحمت عليه ، ولم يستطع أن يعزلها عن بعضها ..

أما البصر ، فهو طريق الى هذا الكون كله ، وما فيه من عوالم وأكوان ، وأشكال وألوان ، ومن ناطق وصامت ، ومتحرك وساكن ، وجامد وسائل ..

فالبصر بالقياس إلى السمع هو أبصار ، حيث يتعامل مع مالايحصى من الأشياء ، حتى إنه في النظرة الواحدة ، ليفتح عشرات القوى المبصرة ، فتجيء إليه بأكثر من منظور .

ولهذا جاءت آيات الله داعية الناس إلى النظر في هذا الوجود ، للاستدلال على وجود الخالق ، وما أبدع في خلقه من آيات علمه ، وقدرته ، وحكمته ... فقال تعالى : « **قل انظروا ماذا في السموات والأرض وماتغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون** » (يونس آية/١٠١) وقال سبحانه وتعالى : «**وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا**

منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون » (سورة الأنعام آية/ ٩٩) ..

ويقول جل شأنه : « **أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ● وإلى الجبال كيف نصبت ● وإلى الأرض كيف سطحت** » (سورة الغاشية آية ١٧ ـ ٢٠) ويقول تبارك اسمه : « **وفي أنفسكم أفلا تبصرون** » (سورة الذاريات آية ٢١) ..

ثانيا : أن السمع لا يستطيع أن يضبط أكثر من صوت واحد ، في حال واحدة ، والا اختلطت عليه الأصوات ، وذاب بعضها في بعض ، وعسر على الادراك عزلها وتمييزها ..

وذلك على خلاف البصر ، فإنه ينقل كثيرا من المرئيات في حال واحدة ، ويحتفظ لكل مرئى بصورته دون أن يختلط بعضها ببعض ، ثم ينقلها الى الادراك منفصلة ، كما ينقلها إليه مجتمعة .. فالانسان يرى بنظرة واحدة أعدادا كثيرة من الناس ، بأزيائهم ، وأشكالهم ، وألوانهم ، يرى الواقفين منهم والجالسين ، كما يرى المائدة ، وما عليها من ألوان الطعام ، والجالسين حولها واحدا واحدا .

فالبصر ـ وهذا شأنه ـ هو أكثر من حاسة ، إنه أبصار ، وليس بصرا واحدا ، ولهذا جاء في القرآن الكريم جمعه على أبصار ..

وثالثا : السمع مقيد بوجود الصوت الذي يطرق الأذن ، والذي يمكن أن يتعامل معه ، فإذا لم يكن ثمة صوت ، تعطل السمع وخيم عليه الصمت المطبق

أما البصر ، فهو عامل دائما مادام الانسان في حال اليقظة ، فحينما يفتح الانسان بصره ، يجد أمامه ما ينقله اليه بصره من أشياء لا تكاد تحصى ، في أي مكان ، وفي أي زمان ..

رابعا : وهو أكثر من هذا كله في النظم القرآني بالمحل الأول ـ هو أن البصر ، يستطيع ، أن يمسك بالأشياء التي يراها ، ويقف إزاءها ما شاء له الوقوف عندها ، فاحصا ، متأملا ، متدبرا ، كما يشيرإلى ذلك قوله تعالى : « **الذي خلق سبع سموات طباقا ماترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور . ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير** » (الملك آية ٣ ـ ٤) ويقول الحق سبحانه : « **ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين** » (الحجر آية/ ١٦) ...

وهذا ابراهيم ـ عليه السلام ـ قد تعرف الى ربه قبل أن تأتيه رسالة السماء ، بالنظر في ملكوت السموات والأرض ، وفي هذا يقول الله تعالى : « **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جَنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم**

يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » (سورة الأنعام آية ٧٥ ـ ٧٩) ..

وهكذا وصل إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى التعرف على ربه ، من خلال ماخلق الله ، بعد أن فرغ من النظر فيما على الأرض ورأى أن ليس فيها من خلق شيئا منها ، رفع بصره الى السماء ، فلما رأى كوكبا أى نجما ، قال هذا ربي ، فلما غرب هذا النجم ، صرف بصره عنه ، وقال : لاأحب الآفلين .. ثم رأى القمر بازغا ، فقال هذا ربي ، فلما رآه يغرب ، توجه الى ربه ليهديه إلى سواء السبيل .. فلما رأى الشمس بازغة ، قال هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما غربت الشمس ، تهاوت في نظره تلك الآلهة جميعا في الأرض وفي السماء ، وقال : إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين ، فإن الاله لا يظهر في صورة من الصور ، ولايختفي ابدا ، بل هو ظاهر في مخلوقاته ، باطن بذاته : « **هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم** » (الحديد / آية ٣) ..

● السمع والبصر .. مرة أخرى ●

اذا كان للبصر هذا المكان المكين في حياة الانسان ، وفي تلقى المعارف من هذا الوجود ، وفي تغذية العقل والقلب بها ، فإن ذلك لا ينقص من قدر السمع ولا يجور على مكانته العظيمة من الانسان ، وامداده بالكثير الموفور من العلوم والمعارف .. بل إن السمع في هذا المقام ، أطول يدا ، وأمكن مكانة من البصر ..

ولذا نجد القرآن الكريم قدم السمع على البصر ، في كل آية اجتمعا فيها ، ولم يقدم البصر على السمع في أي موضع جمع بينهما ، .. كما يقول تعالى في أهل الكفر : « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** » (البقرة آية/ ٧) .. وهكذا في جميع الآ يات التي جمعت بين السمع والبصر .. فرسالات رسل الله ، انما يتلقاها الناس بآذانهم ، ويسمعونها بأسماعهم .. فيهدي الله من يشاء ويضل من يشاء ..

ولهذا يقول الله تعالى : « **وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** » (سورة الأعراف آية ٢٠٤) فالله تعالى يدعو عباده المؤمنين إلى الاستماع لما يتلى من آيات الله ، لا إلى مجرد السماع ، كما يدعو الى الانصات وسكون الجوارح ، حتى تتصل كلمات الله بالقلوب ، فيزداد المؤمنون إيمانا إلى إيمانهم .. ويقول سبحانه : « **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب** » (سورة الزمر آية ١٧ ـ ١٨)

وفي أهل البغي والضلال ، يقول الله

تعالى : « **ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم** » (سورة الجاثية آية ٧ ـ ٨) ويقول سبحانه وتعالى فيهم أيضا : « **وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم** » (لقمان آية/٧) .. ويقول جل شأنه محذرا المؤمنين من حال أهل الضلال مع ما يلقى إليهم من كلام الله : « **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون . إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون . ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** » (الأنفال آية/٢٠ ـ ٢٣) ..

وهكذا تكشف آيات الله تعالى عن السمع وآثاره ، حيث يكون رسول هدى يحمل الى صاحبه نور الهدى والايمان ، على حين يكون شيطانا مريدا يلقى في قلب صاحبه الهوى ، والضلال ..

أما إذا تحدث القرآن الكريم عن البصر ، فانه يتحدث عنه باعتبار أنه عضو من أعضاء الجسد وحاسة من حواسه ، فهو عين كما يتحدث عنه باعتبار أنه جهاز متصل بالقلب فهو بصر ، وأبصار ، وبصيرة أيضا .. فقال تعالى « **فاعتبروا ياأولى الأبصار** » (سورة الحشر آية/٢) وقال سبحانه وتعالى « **والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار** » (سورة آل عمران آية ١٣) ..

ولهذا اشتق من البصر : البصيرة ، والبصائر ، والتبصرة ، فقال تعالى : « **بل الانسان على نفسه بصيرة** » (سورة القيامة آية ١٤) وقال سبحانه وتعالى « **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** » (سورة الأنعام آية/١٠٤) وقال جل شأنه « **والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** » (سورة ق آية ٧ و ٨) .

وبعد فما أرانا بعد هذا الوقوف الطويل على ساحة هاتين الكلمتين : السمع والبصر ، في نظمهما القرآني ـ ماترانا الا قد حسونا حسوة من هذا الكوثر العذب المتدفق ، وان كانت تنفع الصدى ، ولا تشفى الغليل وذلك هو جهد من قصر باعه ، وقل علمه فمن كان ذا باع فليرد وليرتو ، وليبرو الظمأ ، ومن كان ا علم فليأت بعلمه ما وسعه العلم ، وسيبقى بعد ذلك مورد لوارد ، وعلم لعالم الى يوم الدين قال تعالى « **قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا** » (سورة الكهف آية ١٠٩) ..

حقوق الأبناء على الآباء

للأستاذ/ عبدالفتاح السيد عبدالفتاح

اهتم الاسلام اهتماما كبيرا بالأبناء ، فهم ثمرة الحياة وأمل الأمة ... فأطفال اليوم هم شباب الغد وعماد المستقبل . وإن الرجل حين يؤدب ابنا له ويربيه على الايمان والفضيلة يكون قد أدى واجبه نحو أمته ونحو نفسه ونحو ربه .

فالطفل هو أغلى ما يملك الانسان في الحياة بعد الايمان بالله ورسوله ولهذا قال الشاعر :

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشي على الأرض

والطفل امتداد لحياة الأب وعمله على الأرض .. لهذا كان من الواجب على الآباء الاهتمام بتربيتهم . وبذل أقصى العناية والرعاية في تربية أبنائهم لأنهم مسئولون عنهم وعن تربيتهم أمام الله يوم القيامة.. يقول الله تعالى :

(**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**) التحريم/٦ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن » رواه مسلم ..

ولقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم الدستور التربوي في قوله : « الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم » . رواه مسلم ..

ولما كان الأبناء في الآخرة شفعاء لآبائهم وأمهاتهم إن ماتوا صغارا وحسناتهم يوضع مثلها في ميزان

آبائهم وأمهاتهم إن كبروا صالحين . وعاشوا مؤمنين متبعين منهج الله ورسوله منفذين ما جاء به القرآن وما جاءت به السنة الشريفة فقد قرر الاسلام لهم حقوقا منها .

النفقة :

فنفقة الأبناء ذكورا كانوا أم إناثا واجبة على الوالد حتى يشتد عود الذكر ويستطيع أن يعول نفسه أو حتى تتزوج الأنثى .. والأب المستطيع الذي يقصر في الانفاق على أولاده ذكورا كانوا أم إناثا آثم عند الله لأنه بذلك يعرضهم للضياع والتشرد ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت » . رواه أبو داوود ومسلم في صحيحه .

وقوله عليه الصلاة السلام : « إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع حتى يسأل الرجل عن أهل بيته » متفق عليه .

وقد جعل الاسلام نفقة الرجل على أهل بيته وأسرته مقدمة على أي نوع آخر من أنواع النفقة . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول » . رواه البخاري .

كما حرص الاسلام على عفة المرأة وحياتها ورقتها وجمالها ، ولأن الله يعلم أن بعض الآباء أكثر ميلا للذكور من الاناث ، فقد جعل ثواب الآباء في النفقة على الاناث عظيما . فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من عال جاريتين دخلت أنا وهو الجنة كهاتين وأشار بأصبعيه : السبابة والتي تليها » . رواه مسلم .

والمراد من الحديث أن من قام برعاية بنتين أو أختين أو غيرهما ، فأنفق عليهما وأحسن أدبهما جعله الله يوم القيامة في منزلة الجار الملاصق للرسول صلى الله عليه وسلم في الجنة . وهذا يدل على عظم الانفاق على الاناث . وذلك لأن الأنثى بطبيعتها اضعف من الذكر ، وأشد حاجة إلى الرعاية والعطف .

التسوية في المعاملة :

إن إيثار بعض الأبناء على بعض يعود على الأولاد بأسوأ العواقب في حياتهم المقبلة لما يولده من روح الحقد والحسد والشر في نفوسهم ، وما ينزعه من عواطف الحب والحنان والتعاون والمودة فيما بينهم ، وفيما بينهم وبين الآباء من جهة أخرى ، هذا إلى جانب ما قد تسببه التفرقة في المعاملة من إصابة بالعقد والأمراض النفسية التي تعرضهم للانحراف والتشرد ، فينقلبون على آبائهم وإخوتهم ويحدث مالا تحمد عقباه ويصبحون آفة في المجتمع .

إن إيثار بعض الأبناء على بعض ولا سيما إيثار البنين على البنات . كما يحدث عادة في بعض مجتمعاتنا

هذا النوع من الايثار هو من أقبح الفعال وأرذل الخلال . التي حاربها الاسلام . في قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » . متفق عليه .

والأصل في هذا الموضوع ما رواه النعمان بن بشير ، قال إن أباه أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إني نحلت ابني هذا غلاما كان لي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأرجعه » .

وفي شرح الامام النووي للحديث قوله : « في هذا الحديث أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يفضل ، ويسوي - على الراجح - بين الذكر والأنثى . وهذا هو الصحيح المشهور لظاهر الحديث الذي لم يفرق بينهما » .

ومن هذا ندرك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قد لمس جانبا خطيرا في علاج المفاضلة بين الأولاد ، حيث بين أن الأب في حاجة إلى برهم جميعا ، وأن المفاضلة نوع من الجور الذي يسبب البغضاء بين الأولاد كما إنه يسبب قطيعة الرحم ، وقد يسبب عقوق الأب .

ومن المعلوم أن الاسلام حرص حرصا شديدا على توفير أسباب الوئام في الأسرة الواحدة ، فحض على صلة الرحم وجعل القطيعة من الكبائر وحض على بر الوالدين وجعل العقوق من الكبائر ، فكل شيء يؤدي إلى القطيعة والعقوق يأخذ حكمهما ، ومما لاشك فيه أن التفضيل بين الأبناء يؤدي إلى القطيعة والعقوق .

أما إذا كان التفضيل له مبرر شرعي مثل عجز أحد الأولاد لمرضه ، أو شدة ضعفه ، أو عزوف الناس عن التزوج بإحدى البنات ، أو كان أحد الولدين بارا والآخر عاقا ، أو كان أحدهما متدينا والآخر فاسقا مستهترا ، هنا يقال : إن التفضيل مباح أو مكروه .

وكما أفتت لجنة الفتوى بالأزهر الشريف بالاباحة ..

التربية والتعليم :

إن تربية الأبناء وتعليمهم في مرحلة مبكرة تربية صحيحة من أهم واجبات الآباء أو واجبات البيت عموما نحو الأبناء والمجتمع باعتبار أن البيت هو المدرسة الأولى للأطفال ، فإذا لم يقم بوظيفته في التربية والتعليم فلا تعوضه أية مدرسة أو مؤسسة أخرى .

ولقد عنى الاسلام بتربية الأولاد وتقويمهم عناية بالغة وإن هذه العناية لتمتد إليهم وهم في طيات الغيب قبل أن يدرجوا على هذه الأرض ، فقد هيأ لهم المغرس الطيب والمنبت الحميد ، باختيار الأم الصالحة ذات الدين والخلق . فقال تعالى :

(**فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله**) النساء/ ٣٤ .

فالتربية الحسنة حق على الآباء والأمهات . والتربية الحسنة كما يعنيها الاسلام هي التربية المتفقة مع المنهج القرآني وأهدافه في صياغة الشخصية المسلمة وهي أمانة في عنق الوالدين ، إن قصروا فيها ووقع الأبناء في المعاصي ، وانحرفوا عن

طريق الله فإنهم يعذبون على ذلك يوم القيامة .

فعلى الآباء أن يعرّفوا أبناءهم بربهم ونبيهم وكتاب الله واليوم الآخر وما فيه . وبرسل الله ليؤمنوا بذلك . وعليهم أن يزرعوا في أنفسهم تقديس وتعظيم شعائر الله تعالى ، وكل ما جاء به الدين من عبادات وأخلاق ومعاملات . وعليهم أن يعلموهم الصلاة ويجبروهم على أدائها بالكلمة وهم أبناء سبع ويضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، لقول الرسول صلىّ الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر . وفرقوا بينهم في المضاجع » . رواه أبو داوود .

وعليهم أن يؤدبوهم بآداب الشرع ويغرسوا في نفوسهم حب الله ورسوله فيأتمروا بما أمر الله ورسوله وينتهوا عما نهى الله ورسوله .

وعلى الآباء أن يوجهوا أبناءهم ويرشدوهم في تخير أصدقائهم ولا يدعوهم يصاحبون الأشرار والفاسدين والعصاة من الناس .

فإن الأخلاق تعدي ، والمرء على دين خليله ، وصاحب السوء لا خير فيه لنفسه ، فلا يكون فيه خير لغيره . والوقاية خير من العلاج .

ومن حقوق الأبناء أيضا : أن يختار الأب الاسم الحسن لابنه وخير الأسماء ما عبد وحمد ، فإن الأسماء الحسنة تؤثر في تكوين شخصية الولد وترفع معنوياته ، وأما الأسماء القبيحة فإنها تنضح على الخلال والصفات وتجعل حياة الولد مليئة بالعقد والعثرات . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم » . رواه مسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغير الاسم القبيح » . رواه الترمذي .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن ابنة لعمر كان يقال لها عاصية فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جميلة » .. رواه الترمذي .

ثم على الوالد أن يحيط أولاده بالحنان والرحمة مع التربية والتوجيه ، وأن يربط بينه وبينهم برباط الحب فهو أقدس رباط وأدومه ، دخل الأقرع بن حابس على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقبل ولده الحسن فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم . فقال عليه الصلاة والسلام : « إن من لا يرحم لا يرحم » رواه البخاري . هذه بعض حقوق الأبناء على الآباء والتي يجب على الآباء أن يؤدوها لأبنائهم لكي تكون الأسرة متماسكة برباط الايمان . لأن إغفال هذه الحقوق يؤدي إلى انحراف الأبناء وخروجهم على حدود الآداب والشرع والدين .

والآباء الذين يهملون في تربية أبنائهم هم أول من يقع عليهم ضرر ذلك لأن الابن الذي لا يأخذ حقه في التربية السوية على منهج الاسلام غالبا ما يكون عاقا لوالديه .

وهذا العقوق عقوبة معجلة في الدنيا ، غير عقوبة الآخرة ، ولا يلومن المهمل إلا نفسه .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل ..

الاسلام

يعالج النفوس بالأضداد

للدكتور/ محمد محمد الشرقاوي

للاسلام منهجان في طب النفوس ، وعلاج القلوب ، وشفاء الأخلاق والأفكار

أولهما : طريق التحصيل والاستزادة ، والسعي وراء البحث العلمي ، والافادة العقلية والروحية والخلقية عن طريق السماع أو التلقي من العلماء الثقات ، أو الاستنباط من التجارب التي جرت بها سنة الأولين ، أو تواطأ عليها عرف المعاصرين ، أو توصل لها علم التجريبيين في مجال الملاحظة والاستقراء والاستنباط .. وفي ذلك جاء قول الله تعالى : **(وقل رب زدني علما)** طه / ١١٤ وقوله تعالى : **(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولو الألباب)** الزمر / ٩ وفي آية اخرى : **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** المجادلة / ١١ .. وقال جل شأنه : **(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)** التوبة /١٠٥ .. والمنهج الآخر : هو العلاج بالأضداد لتهذيب العقول ، والأرواح ، وحملها على المقاومة والمغالبة .. حتى تتولد المناعة والحصانة ضد الهوى والغرور والجماح .. وعلاج بعض الأمراض ان لم يكن كلها بالأضداد قاعدة طبية مأثورة عن أبقراط في طب الأجساد .. فكان ابقراط (٤٦٠ ـ ٣٦٥) ق. م يأخذ بنظرية الطبائع الأربع في الجسم وهي البرودة والحرارة واليبوسة والرطوبة ، وتمثلها الأخلاط الأربعة : البلغم والدم والسوداء والصفرا .. التي تناظر العناصر الأربعة .. الماء والهواء والتراب

والنار .. فالجسم يكون صحيحا اذا تساوى فيه مزاج هذه الأربعة في الكيفية والكمية .. ويكون منحرفا اذا زاد أحد العناصر او نقص او امتنع عن الامتزاج بالعناصر الأخرى .. وسبل العلاج العام هو إعادة هذا التوازن الى طبيعته الأولى بالوسائل المناسبة (التراث العلمي للدكتور محمد فؤاد باشا / ١٦٠) وما ذكرناه في طب الاجساد .. نقول مثله أو قريبا منه في طب الانفس والارواح ولنا على ذلك في الدراسات الاسلامية أمثلة منها :

١ ـ يقول الله تعالى : (**هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات**) آل عمران / ٧ .. فالمحكم من القرآن هو اللفظ الواضح المعنى الذي لا يحتمل نسخا ولا تأويلا ولا تخصيصا وهو يمثل الأكثرية المطلقة من آيات الكتاب الحكيم مثل الاخبار عما حدث من سير السابقين ، أو عما سوف يحدث من أحوال القيامة والموت وما وراءه ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (الجهاد ماض الى يوم القيامة) لأن امتداد الحكم ليوم القيامة ينفي احتمال النسخ وغيره .. اما المتشابه وهو أقل القليل من آيات الذكر الحكيم فهو الذي ابتلى الله تعالى به عباده ، وأمرهم بالتوقف فيه ، والعجز عن ادراكه ، والاقرار بالجهل بين يديه .. لأنه ـ في تعريف علماء اصول الفقه ـ هو الذي خفي منه المعنى المراد ، ولم يستدل عليه لا بعقل ولا بنقل ولا بوجه أصلا .. مثل حروف أوائل بعض السور كألم ، وألر وألمر وكهيعص ، ونون ، وص . وق ، و حم ، وحم عسق .. ونحو ذلك مما يوهم التشبيه للذات الأقدس بالمخلوقات وهو الذي ليس كمثله شيء ، ولم يكن له كفوا احد كالآيات التي تثبت لله تعالى بعض الجوارح كقوله تعالى : (**ولتصنع على عيني**) طه / ٣٩ و (**يد الله فوق أيديهم**) الفتح / ١٠ وقوله تعالى : (**وجاء ربك والملك صفا صفا**) الفجر / ٢٢ مع تنزهه تعالى عن الجارحة والجسمية والمكان والجهة .. فهذا كله من قبيل المتشابه الذي عالج فيه الاسلام عقول الراسخين في العلم بضد ما هي بسبيله من العلم والتعلم ، والبحث والتبحر .. فقد أمروا بالاحجام عن الخوض في معرفة كنهه وخفاياه بقوله تعالى على قراءة الوقف : (**فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله**) ثم يستأنف الكلام : (**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب**) آل عمران /٧ فعلى هذه القراءة التي هي ارجح القراءتين يستأثر الله تعالى وحده بعلم المتشابهات كما استأثر بعلم مفاتح الغيب في قوله تعالى : (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو**) الأنعام / ٥٩ وقد فسرت في آية أخرى (**إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير**) لقمان / ٣٤ وعلى العلماء الراسخين ان يسلموا

بالعجز ، ويقروا بالجهل ويقولوا : **آمنا به كل من عند ربنا** .. ثم يطلبوا من ربهم التثبيت على هذا الموقف بقولهم .. (**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**) آل عمران /٨ ..

ذلك لأن خطاب الله لهم بما لا يفهمون معناه جائز ، وبما لا يدركون سره جائز ومنه (**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا**) الاسراء / ٨٥ .. فكما ابتلى الله طلاب العلم بالاستزادة منه .. ابتلاهم بالتوقف والتسليم والاذعان بالعجز والقصور ، والمذلة والهوان بين يدي العليم الخبير الذي قال : (**وفوق كل ذي علم عليم**) يوسف / ٧٦ ومثلهم في ذلك كمثل الجواد الأصيل الذي يرتاض من مكبح العناق .. كما يرتاض الجواد الآخر بالعدو والاسراع .. وأما قراءة الوصل (**وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم**) فهي وان كانت قراءة صحيحة مرجوحة لكنها ظهرت في عالم الاجتهاد الظني الذي لا يفيد يقينا ولا قطعا وذلك حين ظهر أرباب البدع واخذوا يخوضون في تأويل المتشابه بما يثبت الجسمية لله والمشابهة للحوادث ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .. فتصدى لهم الغيورون من علماء الأمة وحاربوهم بنفس السلاح الذي هاجموا به الاسلام واولوا المتشابه ظاهرا لا حقيقة فقالوا : ان يد الله تأويلها قدرته ، وعين الله : علمه ، ومجيء الله اي امره وهكذا .

٢ ـ ومن العلاج بالاضداد قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو هريرة رضي الله عنه : من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا اله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق) رواه البخاري .. والمعنى كما في رياض الصالحين ج ٢ ـ ٩٤٤ : ان من اذنب ذنبا فكفارته فعل الطاعة المقابلة له .. فإن أوهم كلامه تعظيم المخلوقات . فليبادر بتعظيم الخالق وتكذيب نفسه فيما اوهمت به ، وان اراد انفاق المال في الحرام ، فليبادر الى إنفاقه في الحلال ، وإن عزم على المشي في المعصية .. فليراجع نفسه ويمش في طاعة .

٣ ـ ومن العلاج بالاضداد لتهذيب الغريزة ، وكبح جماح الشهوات استعمال الصيام بكثرة عند الشباب التواقين للزواج عند عدم القدرة على مئونة النكاح .. حيث دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى اضعاف طبائعهم اضعافا صحيا دينيا .. تلتقي فيه العبادة بالرياضة ، والصلاح بالاصلاح .. في قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر واحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) رواه البخاري .. والوجاء هو قطع الشهوة .

٤ ـ ومن العلاج بالاضداد لاستقامة العبادات ، وحسن قبولها ، ومجاراة الفطرة السليمة في طبائعها وخلائقها الاساسية .. الاقبال على الطاعة وقت

انفتاح العزم لها ، والاقبال عليها .. والكف عنها .. حين ينوء صاحبها بحملها ، وتثقل على نفسه وجسمه مراعاتها .. فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال : ما هذا الحبل ؟ قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا .. « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد » رواه البخاري .. ويفسره الحديث الآخر : (عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا) رواه البخاري .

٥ ـ ومن العلاج بالأضداد حرمان القاتل من الميراث والوصية .. وذلك اذا تعجل القاتل الحوادث ، واستبق الاقدار ، وامتدت يده بالقتل لمورثه او الموصى له .. حيث إن الميراث والوصية لا ينفذان إلا بعد الموت .. فيعاقبه الشارع الحكيم بحرمانه كلية من الميراث أو الوصية ، لأنه تعجل المنفعة بطريق غير مشروع . فيرد عليه قصده الآثم بضد ما أراد ، وعكس ما قصد ، أخرج ابن ماجه ، والنسائي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس للقاتل شيء » رواه النسائي ويقاس على ذلك الوصية لأنها اخت الميراث في الاستحقاق بعد الوفاة ويرى الشافعية أن القتل مطلقا ولو كان بحق كمن قتل قريبه دفاعا عن النفس يحرم من الميراث لعموم الحديث السابق ، وكذلك القتل بسبب ولو من غير قصد كمن دهم مورثه بسيارة أو نحوها ـ وإن كان المالكية يخالفون الشافعية في القتل الخطأ الذي لا قصد فيه فيورثون القاتل المخطىء ـ وجرى عليه قانون الأحكام الشخصية في مصر ـ ويرى الحنفية أن القتل بسبب متوسط بين فعل الفاعل وقتل المقتول لا يمنع من الميراث كمن حفر بئرا للمنفعة فوقع فيها المورث ومات .

٦ ـ ومن العلاج بالأضداد تكليف البائعين وعارضي السلع في الاسواق بتبيين العيوب التي في البضاعات ، والتنبيه عليها ، وإطلاع المستهلكين والمشترين على حقيقتها ، وعدم إخفائها أو التستر عليها او التلفيق فيها ، وذلك لأن الاسلام دين الوضوح والرؤية الصريحة مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : (لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا هالك) رواه ابن ابي عاصم في كتاب السنة باسناد حسن .

روى ابو هريرة رضي الله عنه : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا ، فقال : « ما هذا يا صاحب الطعام ؟ » .. قال : اصابته السماء يا رسول الله .. قال : (أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا) رواه مسلم ..

حرية الكلمة

من

المنظـــور الاسلامي

للدكتور/ عبدالفتاح محمد سلامه

لعل الاسلام الذي شرفت به الانسانية على يد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : أول نظام رباني ، يعمق في النفس البشرية أصول الحرية ، ويرسخ جذورها ، بل ويفجر على الصعيد الكوني طاقاتها المحبوءة ، راعيا وثباتها ، حاديا مواكبها لتزدهر الحياة بمعطياتها ، وتتألق فوق ساحتها قيم العزة والفضيلة !!!

ولا مرية في أن الحرية أثمن من الحياة وأغلى ، لأن حياة في ظل العبودية نوع من الموت البطيء ، يفرغ على صاحبه ذلة وهوانا ، فيفقد بذلك القدرة على الحياة الفاعلة ، ويصبح دوره انهزاميا متخاذلا ، لأ ن مقومات الوجود الحقيقي قد سلبت منه ، وتبددت على أعتاب النفاق والخوف ، فهو لايحس بالحياة ، ولايدرك لها مغزى .. وقديما قيل :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت إيلام

وكذلك قيل :

ليس من مات فاستراح بميت
إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء

والاسلام دين يحترم حرية الفرد ، ولكن في إطار واع من الانضباط يحجزه ان يمارسها بطريقة خاطئة ، فيدمر بها حياة الآخرين ، ويتعرض بها لسعادتهم ، ولكن عندما تجاوز الحرية قدرها ، وتبرز منها نتوء العداوة ، وتتجسد فيها تخوم الكراهية ... هنا ينبرى الاسلام ، آخذا بزمامها ، مصححا لها المسار ، حتى لاتشط ولا تنزلق ، فيشقي بها أصحابها قبل غيرهم من سائر الناس ، ويتحول الوجود الى مسخ شائهة ، بل إن شئت فقل : يغدو وكأنه المسبعة ، يأكل قويها ضعيفها دون رادع أو زاجر !

وعن القالب الذي يجب أن تتحرك فيه الحرية التي لاتؤدي إلى الهدم ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فجعل الذين في أسفلها إذا أرادوا الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا نأخذ منه الماء حتى لانؤذي من فوقنا ؟ فإن تركوهم هلكوا وهلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ..» .. رواه مسلم ..
إن للظلم أنيابا حدادا ، وللبغى أظافر شرسة ، إذا تركت على هواها فإنها ستوغل في دماء الضحايا والأبرياء ، ولكن إذا ما كانت هناك عين ساهرة ، ورقابة صارمة ، تمنع العابثين ، وتأخذ على أيديهم ، فإن امور الحياة ستسير في خطى متزنة ، وفي إيقاع هادىء ، إلى غاية كريمة يحمدها الناس جميعا ... ولهذا ورد عن رسول الله أنه قال :
«انصر أخاك ظالما أو مظلوما» قالوا : يارسول الله : ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : تكفه عن الظلم فذاك نصرك له ...» رواه أبو داود ..

مسئولية الكلمة

ثم تأتي حرية الكلمة لونا من ألوان التعبير عن الحرية العامة للانسان !!! والاسلام يقف من الكلمة موقف المؤيد المناصر ، إذا كانت جريئة خالصة ، يعلو بها حق ، ويندحر بها باطل ، أو انطلقت من الحناجر ، لتعبر عن وجهة

راشدة في هذه الحياة ، أو كان المقصود بها هداية ضال ، أو نصيحة عابث غوي ، أو كانت تحمل فكرا مستنيرا ، وتصور رأيا ثاقبا ، أو كان الهدف منها نقدا نزيها ، يظهر المحاسن ، ويبرز المساوىء .

إن الكلمة إذا امتلكت هذا الرصيد ، وسارت في تلك القنوات ، فإنها ستكون طاقة بانية ، تتغير بها معالم الحياة ، وتشاد بها للفضيلة دولة ، ويقوم بها للحضارة سلطان !!!

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم ، وتصفحت السنة النبوية الطهور .. وجدت حشدا من النصوص ، التي تزكي الكلمة العاقلة ، وترفع من شأن الكلمة الشجاعة ، التي تحطم بها مواقف اليأس ، وتتفجر منها وثبات العزيمة ، وتشرق من ثناياها ومضات الاقدام ...

فمن القرآن الكريم نقرأ :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل) آل عمران/١٧٣ و ١٧٤

(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ..) .. التوبة/٤٠ ..

(قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا) .. الكهف/٣٧ و ٣٨ ..

الكلمة في مدرسة الجهاد طاقة بانية :

وتعتلي الكلمة ذروة الجهاد وسنامه وتقتعد مكانها في أعلى عليين من درجات الشرف الانساني ، والوهج البطولي الايماني ، ومن ثم تقدم الزاد ، وتعطي الأسوة !!!

وتتكفل السنة الراشدة بإبراز دور الكلمة في صناعة العقيدة ، وتأصيل دعائم الجهاد والاستشهاد ، حين تكون قبسة من نور الحق ، يهدر بها لسان المؤمن ، وتتماوج لها أحاسيسه ، ويجيش منها كيانه !!!

نقرأ من السنة النبوية :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر .. » رواه مسلم

« سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان فأمره ونهاه فقتله » رواه النسائي ..

» إن أمتي إذا استحيت أن تقول للظالم ياظالم فقد تودع منها » رواه الترمذي ..

ولقد شهد التاريخ دور الكلمة في خلق المواقف في أشد الساعات ضراوة وحرجا ... فلقد قال الرسول لأصحابه في غزوة بدر : "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».... فقال عمير بن الحمام ، وكان في يده تمرات يأكلها : بخ بخ !!!

فقال له الرسول ؛ لم تبخبخ ياعمير ؟ فقال : رجاء أن أكون من أهلها ! فقال الرسول : فأنت من أهلها ! فقال عمير : والله لئن بقيت حتى أكل هذه التمرات إنها لحياة طويلة .... ثم

امتشق حسامه ، ومضى إلى صفوف الكفار وهو يقول :

ركضا إلى الله بغير زاد
إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله علي الجهاد
وكل زاد عرضة للنفاد
إلا التقوى والبر والرشاد

وما زال يجالد القوم حتى قتل !!!

أما عن دور الكلمة في مجال المشورة وإبداء النصح فإليك :

لقد نزل رسول الله بالناس منزلا في غزوة بدر ، فنهض الحباب بن المنذر وقال : يارسول الله !!! أرأيت هذا المنزل أهو منزل أنزلكه الله فليس لنا أن نتقدم أو نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ فقال النبي : بل هو الرأى والحرب والمكيدة !!! فقال الحباب : يارسول الله : إن هذا ليس بمنزل !!! ولكن أرى أن ننزل أدنى ماء من القوم فنحفر فيه حوضا نملؤه بالماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون !!! فأعجب رسول الله بقوله ، ونزل على رأيه .

وهل أتاك نبأ العجوز التي عارضت عمر بن الخطاب وهو على منبر رسول الله : فما زاد على أن قال : أصابت امرأة وأخطأ عمر .

تلك هي حرية الكلمة من المنظور الاسلامي .. فالاسلام لا يكمم الأفواه ، ولا يحبس الحناجر ، ولا يطارد الفكر الحر ، ولا يخاصم الرأى المستنير ، لأنه ليس دين كهنوت ، ولأنه يرفض التحجر العقلي ، ويمقت الجبن وعدم الشجاعة في إبداء الرأى ، متى لم يكن الباعث عليه هوى مطاعا ..

الاسلام يحاصر الكلمة الخبيثة :

أما إذا انحرفت الكلمة عند رسالتها ، فأصبحت لاهية عابثة ، مخربة مدمرة ، تقوض أركان الفضيلة ، وتحيي موات عصبية ذميمة .. أما إذا استحالت إلى غمز ولمز ، وقحة على الأعراض ، وتطاول على الكرامات ، أما إذا خفت بها صوت الحق ، وانتفش بها ريش الباطل ... فإن الاسلام حينئذ يلاحقها ، ويحاصرها ويطاردها ، لأنها أصبحت معول هدم ، وأداة تعويق وتخريب ، بل ما أشبهها بالشجرة الخبيثة :

(اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) .. إبراهيم/٢٦

فكلام الانسان الذي تنفرج به شفتاه مسئولية كبرى عليه ، ولهذا رأينا تحذيرا شديدا للثرثارين الذين يطلقون لألسنتهم العنان ، فيسقطون بها إلى مهاوي الافك والجريمة :

يقول رسول الله : « إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقى لها بالا ، من غضب الله عليه ، يهوي بها في النار سبعين خريفا .. » رواه البخاري ..

ويقول : « وهل يكب الناس على مناخيرهم في النار الا حصائد ألسنتهم .. » ؟؟ متفق عليه !!!

سفانة بنت حاتم الطائي

للاستاذ/ يحيى بشير حاج يحيى

امرأة كالنساء ، ولكنها تعد في الرجال ، إذا برز الرجال للرجال !! فهي من أجود نساء العرب ، كما كان أبوها من أجود رجالهم . تعلمت مكارم الأخلاق منه . فلما اشتد ساعدها كادت تسبقه !

يعطيها القطعة من الابل مابين العشرة إلى الأربعين فتهبها للناس ! وينظر حاتم إلى ما ينفق ، وإلى ماتنفق ، ويرى أن المال إذا اجتمع عليه جوادان أهلكاه ، ولم يبقيا منه شيئا . فيقول لها : إما أن أعطي وتمسكي ، وإما أن أمسك وتعطي ، فإن الأمر إذا استمر على ما هو عليه لم يبق شيء من مال .

فتقول له : والله لاأمسك أبدا ..
فيقول حاتم : وأنا ـ والله ـ لا أمسك أبدا

فتقول سفّانة : فلا نتجاور .. فيقتسمان المال ، ويفترقان !! تلك سفانة ابنة حاتم الطائي ، وأخت عدي وارث مجد أبيه في الجود والكرم ، يبعث إليه الرجل يستعير منه قدور حاتم ، فيرسلها ملأى ! فيعجب ويقول : أردناها فارغة .

فيرد عدي : إنا لانعيرها فارغة ..
سجية نشأ عليها في بيت حاتم ، تجعله يحس بأن كل ما حوله له حق عليه ، حتى كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق !!

أفمثل أهل هذا البيت ، وهم يتسابقون في مكارم الأخلاق ، يبقون بعيدين عن الاسلام ، وهو يدعو إلى مكارم الأخلاق ؟!! ولكن عديا كان ملكا في قومه ، وهو على دين النصرانية . فما له وللاسلام يدعو إليه قرشي من بني هاشم؟؟ لقد أحس عدي بكره شديد منذ سمع بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يجد في نفسه مايدفعه للايمان به ، فهو في ملك ودين وشرف . وماذا يمكن ان يبلغ بالاسلام ، لو آمن به ؟

كان عدي ـ على كرهه لرسول الله ـ يتوجس أن تدهمه سراياه ويحسب لذلك حسابا ، وقد احتاط لنفسه فأمر أحد رعاته أن يهيء له جمالا سمانا ، تكون قريبة منه ، وأن ينذره إذا سمع بوصول جيوش لمحمد ، ليكون على أهبة الاستعداد للرحيل .

وغشيت خيول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تلك البلاد ، وآذن الراعي سيده عديا وقرب اليه اجماله ، فاحتمل اهله وولده ميمما وجهه شطر أهل دينه من النصارى في الشام ، ولكنه خلف ابنة لحاتم ، أصبحت في جملة السبايا التي رجع بها المسلمون .

● ● ● ● ●

وضعت سفانة مع غيرها في حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا تحبس فيها . وسفانة امرأة تستلفت النظر جمالا وفصاحة وتسترعي الاهتمام أصلا وخلقا .. كانت تعرف ذلك في نفسها كما يعرفه الآخرون ، ويبدو بعضه للناظر إليها ..

ويمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها ، فتقف له ، تكلمه بفصاحة لسان ، وشجاعة قلب : يارسول الله ! هلك الوالد وغاب الوافد ، فامنن علي منّ الله عليك .

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : ومن وافدك ؟

قالت : عدي بن حاتم .

قال : الفار من الله ورسوله !!

وصمتت سفانة ، ومضى رسول الله ، وتركها ، ليتردد في جنبات نفسها ، : أجل .. الفار من الله ورسوله ، والمحتمل أهله هاربا ، والتارك ابنة حاتم ـ وهاهي ذي

ويمر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في اليوم الثاني ، فتقوم له ، وتقول ماقالت بالامس ، فيجيبها بمثل ما أجابها .

وفي اليوم الثالث أرادت أن تقوم ، ولكنها تذكرت مارد به عليها في اليومين الفائتين ، إلا أن علي بن أبي طالب أشار إليها من خلفه ، أن قومي فكلميه .

وقبل أن يتجاوزها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارتفع صوتها : يارسول الله ! هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن عليَّ مَنَّ الله عليك .
كانت سفانة إلى كرم الأصل ، وجود اليد ، فصيحة اللسان إذا تكلمت أعجبت ، وإن استرسلت أدهشت !! وإن من البيان لسحرا .
« كان أبي سيد قومه ، يفك العاني ، ويحمي الذمار ، ويقري الضيف ، ويشبع الجائع ، ويفرج عن المكروب ، ويطعم الطعام ويفشي السلام ، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا » .
أوليس الذي يتصف بتلك الخلال جديرا بأن يشفع في نفسه ، ويشفع للآخرين بسجاياه ؟ ،

وقد كان .. فتلك ـ وايم الله ـ صفات المؤمنين الذين يحبون مكارم الأخلاق ، والله يحبها . ولجدير بحاتم لو كان مسلما أن تغمره الرحمة ، ولكن لم يقل يوما من الدهر : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .
فخلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ سبيلها ، وقال لها : لقد فعلت .. فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك ، ثم آذنيني .

● ● ● ● ●

وما أجمل أن يرحم العزيز وقد ذل ، والغني وقد افتقر ، والشريف يعرف له قدره ، وقد هان .

وما أجمل ماقالت سفانة ، وهي تدعو: اعترافا بالصنيع ، وردا للجميل ، ووفاء للاحسان . فكان الدعاء أبلغ مما قالته في الرجاء : « أصاب الله ببرك مواقعه،ولا جعل لك إلى لئيم حاجة،ولا سلب نعمة عن كريم قوم إلا وجعلك سببا في ردها عليه .

● ● ● ● ●

مَرَّ على سفانة وقت كانت تنتظر فيه من يحملها إلى أخيها ، وفي كل يوم تقضيه بين المسلمين كانت ترى في رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصالا تعجب بها ، وهي من هي في معرفة خلال الرجال ، وكرائم الفعال .
يأتيه الرجل يطلب منه ، فلا يجد عنده شيئا ، ويكره أن يرجع خالي اليدين ، فينادي عليه أن اذهب إلى فلان فاستدن علي ،فيتعجب من بحضرته !! أن لو كان عندك لما أمسكت ، فكيف ترسله ليستدين عليك ؟!
ويقول آخر : أنفق ـ يارسول الله ـ ولا تخش من ذي العرش إقلالا ..
فيبتسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ رضى بما قال .. لقد وجدت سفانة جودا لا كالجود ، وكرما فاق كرم أبيها ! وأبوها من هو بين أجواد العرب .

أما ـ والله ـ إن مايدعو إليه لهو الحق ، وهو الطلبة التي يبتغيها قاصدها .. ولئن بلغت أخاها لتقولن له ما تقول ، فليس من الحزم أن يحيد الرجل عن الحق إذا ظهر له ، ويتجنب الخير إذا وافقه ..

● ● ● ● ●

وقدم من تثق به ، وليبلغها أخاها ، فجاءت إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالت : « يا رسول الله ! لقد قدم رهط من قومي ، لي فيهم ثقة وبلاغ » .

فأذن لها ، وقد كساها ، وأعطاها نفقة ، وحملها على ما يوصلها . فمضت إلى أخيها حتى قدمت الشام .

كان عدي يتحرق شوقا إلى أخبارها . وإنه لقاعد في أهله ينظر القادمين ، حتى طلعت ظعينة .

أتكون سفانة ؟! ولكن أين سفانة ؟ فهي في السبايا عند محمد منذ احتمل أهله ، وولى هاربا ..

وتهادى الركب حتى اقترب منه فإذا سفانة هي هي . خفق قلب عدي ، وصبغ الحياء وجهه ، ولم يجد ما يقوله لها ، وقد تملكته فرحة اللقاء ـ ووقفت سفانة تلومه ، وقد ذكرت تركه لها من دون أهله ، ولم يجد عدي عذرا يعتذر به ، فرقت له ولانت . وجعل عدي يسألها ، ومضت سفانة تجيبه ، وهو لايكاد يصدق مايسمع !!

ـ ماذا ترين في أمر هذا الرجل ؟؟

ـ أرى ـ والله ـ أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله .. وإن يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن ، وأنت أنت .

قال عدي : هيه ، ياسفانة ..

قالت : رأيت هديا ورأيا سيغلب أهل الغلبة ، رأيت خصالا تعجبني ، رأيته يحب الفقير ، ويفك الأسير ، ويرحم الصغير ، ويعرف قدر الكبير .

ـ وماذا ؟؟

ـ ومارأيت أجود ولا أكرم منه !!

ـ لنعم ما رأيت ـ ياسفان ـ ولنعم ما تقولين . والله ـ إن هذا الرأي !!

● ● ● ● ●

وخرج عدي حتى قدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة فدخل عليه ، وهو في المسجد ، ومضى معه حتى بلغ منزله . تستوقفه المرأة الكبيرة الضعيفة ، فيقف لها طويلا تكلمه في حاجتها . ويزداد عدي يقينا أن ليس شأنه شأن ملك !! ويدخل إلى منزله ، فيدفع إليه وسادة من أدم محشوة ليفا ، ويجلس على الأرض !!

ويحك يا ابنة حاتم ! انت والله ـ بالرجال لبصيرة .. والله ما هو بملك ، ولقد دخلت على الملوك قبل !
لم يبق إلا أن يكون نبيا ، وها هوذا يعرفني ما أجهل ، ويكشف لي خبيئة نفسي ، وعما كان يمنعني من الدخول في الاسلام .. لعلك ـ ياعدي ـ إنما يمنعك من دخول هذا الدين ماترى من حاجتهم ؟! فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ماترى من كثرة عدوهم ، وقلة عددهم ؟!

ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم ؟! .. كان عدي يعلم أن أتباع الأنبياء هم الفقراء والضعفاء ، وأن ذوي السلطان ، ومن بيدهم القوة لاترضيهم دعوة الرسل .. وأن المستضعفين من المؤمنين تخطفوا ، وقتلوا تقتيلا .. وكذلك فعل بأتباع ابن مريم ، وبمن آمن من قبل ..

● ● ● ● ●

هزت كلمات رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قلب عدي هزا .. فكيف تفر ـ يا عدي ـ وإلى أين ؟؟

أفرك أن يقال : لا إله إلا الله ، فهل من إله إلا الله ؟ أفرك أن يقال : الله آكبر .. فهل من شيء أكبر من الله عز وجل ؟
وصمت عدي ، ثم نطق بالشهادتين ؛ فتهلل وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ

وفي تلك اللحظات التي تحول فيها عدي من الكفر إلى الايمان لاح طيف سفانة أمام عينيه ، وكأنه يبصرها ! وخفق قلبه لها ، حتى أنه ليكلمها ؛ ويحك يا ابنة حاتم ! ما أعلمك بالرجال ! إن أسرك فك أسري ، ولعمري لأنت أفضل بني حاتم ..
ليت حاتما كان حيا ليرى أي تاج ألبس عدي ، وهو بين يدي محمد ؟! ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

التدخين بين الطب والدين والاقتصاد

للاستاذ/ عاطف شحاتة زهران

بينما تطالعنا تقارير عن تناقص عدد المدخنين في العالم المتقدم. تطالعنا تقارير أخرى عن ازدياد المدخنين في العالم المتخلف والنامي، ولسوء الحظ ان العالم الاسلامي يقع في الطرف الثاني، وقد اضحى التدخين مشكلة تواجه المسلمين شبابا وشيبا. وشغل الكثير بكيفية معالجتها. للحد من انتشارها. بعد ان اكدت البحوث والدراسات الطبية العديدة ما ينجم عن التدخين من مضار. وسمعنا عن جماعات في اوروبا تكرس جهودها لمحاربة التدخين بإقناع المدخنين بالاقلاع عنه بشتى الطرق. ونتيجة لهذه الجهود رأينا عدد المدخنين في المانيا يقل بنسبة ٢٠٪ على سبيل المثال.

وذلك يلقي تبعات كبيرة على أجهزة التربية والاعلام والصحة والدعوة بالدول الاسلامية، وعليها ان تتكاتف جميعا لمحاربة التدخين ولبيان ما يلحق المدخن من اضرار صحية ومالية ودينية.

ولقد بذلت جهود عديدة من هذه

الأجهزة حتى اصيب بعضها بالسأم لكثرة الحديث . وذلك عيب خطير ..اذ تقاس الجهود بالنتائج ، فلا المدخنون أقلعوا عن التدخين ولا سئموا منه ولا قلت نسبة انتشار التدخين . وذلك يجب ان يدفعنا لمضاعفة الجهود لا لليأس .

وهذا جهد ضئيل في هذه القضية نتناولها فيه من عدة جوانب هي :

أ ـ آثار التدخين على الصحة .

ب ـ رأى الاسلام في التدخين والأموال التي تنفق عليه ، وكيف عالج الاسلام الغضب بطرق أنفع ؟

ج ـ مسؤولية أجهزة الاعلام في الحد من انتشاره .

د ـ دور القدوة في انتشار التدخين او الحد منه .

● الأضرار الصحية ●

حين نحاول إبراز آثار التدخين على الصحة علينا ان نرد الأمر للمنظمات الصحية والأطباء . فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقال .

ـ ففي تقرير لمنظمة الصحة العالمية وهو التقرير رقم (٦٩٥) عن التدخين في دول العالم النامي ، وقد اشترك في اعداده عشرة من خبراء المنظمة من المهتمين بالتدخين .

● يقول التقرير : « إن التدخين وانتشاره في الدول النامية مسؤول عن وفاة مليون انسان سنويا نتيجة للأمراض الناتجة عنه والتي تبدأ من الاصابة بأمراض القلب المختلفة وأمراض الجهاز التنفسي ، واصابات الشعب الهوائية الى الاصابة باخطر امراض العصر .. ـ السرطان ـ وبخاصة سرطان الرئة الذي تزيد نسبة الاصابة به بين المدخنين في الدول النامية الى تسعة أضعاف نسبة الاصابة بالنسبة لغير المدخنين .

وطالب التقرير في خاتمته بضرورة تكوين أجهزة متخصصة لمكافحة انتشار التدخين،والأبحاث التي تؤكد العلاقة الوثيقة بين التدخين والسرطان كثيرة ، فلقد أكتشف بعض العلماء من خلال دراساتهم ان نسبة الوفيات الناتجة عن سرطان الرئة ارتفعت حوالي ٤٠٠٪ خلال عشرين سنة ، كما لاحظوا أن نسبة بيع الدخان قفزت في الفترة نفسها بنفس القدر ٤٠٠٪ مما جعل الأطباء والعلماء يبحثون عن العلاقة بينه وبين امراض شرايين القلب والأمراض الأخرى . وأثبت العلماء أن ٩٨٪ من المصابين بالسرطان الرئوي كانوا من المدخنين .

ويتعرض المدخنون الذين يزيد سنهم عن (٤٥) سنة ممن يدخنون (٢٥) لفافة او اكثر في اليوم للاصابة بمرض سرطان الرئة بمعدل خمسين مرة ، اكثر مما يتعرض له الأشخاص الذين لا يدخنون ، ولقد توصل العلماء الى قرار حاسم وهو أن الدخان يتضمن مادة تسبب السرطان .

● رأي الدين ●

من القواعد الدينية والفقهية أن (**لا ضرر ولا ضرار**)فالاسلام بتعاليمه

حافظ على النفس والصحة ، ونهى عن كل ما يضر بهما . فالصحة هبة من الله لنا . وهي أمانة لدينا ، أمرنا بالمحافظة عليها قال تعالى : **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)** البقرة/ ١٩٥ .

واذا كان الاضرار من التدخين ثابتًا فهذا يجعل المسلم يتوقف ليفكر فيما سيقدم عليه ، وفي النتائج والآثار ـ الدينية والصحية ـ التي تعود عليه .

وحين يقول الدين كلمته فانما يعول على الآثار والمخاطر . ولذا سنورد رأيين لاثنين من علمائنا الاجلاء في التدخين حتى يقف المسلم من أقوالهما على حكم الدين في التدخين .

أ ـ فتوى الشيخ حسنين مخلوف
مفتي مصر الاسبق :
قال فضيلته في فتوى له بعد ان عرض لآراء العلماء :
الاصل في التدخين الاباحة ، الا لعارض يوجب تحريمه أو كراهيته التحريمية لضرره الشديد بالنفس أو بالمال أوبهما ، أوتعاطيه في المسجد أو في أثناء سماع القرآن لما فيه من المنافاة لتعظيم كلام الله .. »

ب ـ فتوى الشيخ يوسف الدجوي
أما الشيخ يوسف الدجوي ـ رحمه الله ـ وكان عضوا بهيئة كبار العلماء فقال عن الدخان :
« يجب النظر لحال شاربه وما يترتب عليه شربه . فمن كان يضره شرب الدخان ويؤثر في صحته حُرّم عليه شربه للاجماع على تحريم ما يؤذي البدن ، فإن حفظ البدن من الكليات التي أجمعت الشرائع على وجوبه .. ومن لا يضره شربه ولكن يحتاج لثمنه في ضرورياته المعيشية سواء كان ذلك لنفسه أو لمن تجب عليه نفقته كزوجته وذوي قرابته حُرّم عليه شربه ايضا . وإن لم يكن هناك ضرر بدني أو مالي فلا حرمة ..»

التدخين والضرر المالي

أعطى الله سبحانه المال للبشر وعرفهم مسؤوليتهم نحو كسبه وإنفاقه فلا يحل لمسلم ان ينفقه فيما ليس مشروعا . لأن الله سائله عن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ كما انه مسؤول عمن يعول ممن تلزمه نفقتهم ، وعليه الا يضر بحاجاتهم الضرورية . وهو حين يؤثر الانفاق على شهوته ويقصر فيما يلزمهم فهو آثم بذلك . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت . » ! رواه أبو داود والله سائل كل راع عما استرعى حفظ ام ضيع . والمدخن يضيع ماله والله يكره للمسلم ان يضيع ماله فيما لا يعود عليه بالمنفعة .
كما نهي عن الاسراف الذي هو مجاوزة الحد فقال : **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)** الأعراف/ ٣١
والاسراف هو ما فوق الاعتدال . وقالوا : لو انفق الرجل مدا من ماله في غير حق كان تبذيرا ، ولو أنفق ماله كله

في الحق لم يكن مبذرا .

ولاشك ان المدخنين ، غالبا ما يحرمون أولادهم من ضرورياتهم في السكن أو المطعم أو الملبس او غير ذلك بما يقتطعونه من دخولهم ثمنا لملذاتهم ، وهم من جهة صرفوا مالا في غير حقه ، ومن جهة اخرى أضاعوا من يعولون حين حرموهم بعض ضرورياتهم ، هذا اذا غضضنا النظر عن الضرر الصحي الثابت طبيا وهو لايفرق بين الفقراء والأغنياء .

ولو وجه المدخنون وغالبيتهم من الفقراء هذه الأموال وجهات اخرى لعادت على أسرهم وأوطانهم بفوائد كبرى خصوصا وهى أموال طائلة تستنزف على مدى السنين التي يقع فيها المدخن أسير السيجارة .

التدخين والغضب

ظاهرة تفشت في مجتمعاتنا وهي غريبة عنها . ويجب التيقظ لها . إننا نراها في اجهزة الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة . حين نرى احد الممثلين ولهم مكانتهم عند المتلقين - يتأزم به موقف ما - يخرج (سيجارة) ويشعلها موهما أو متوهما أن في السيجارة مفعول السحر في تذويب الهموم وتبديد الأحزان وتفريج الكروب .. !! وهو ان لم يفعل ذلك نجد من يوعز اليه بأن يفعل . يحدث هذا فيما نراه من أفلام ومسلسلات ، وما نقرؤه من قصص قصيرة وطويلة ، ويحدث مثل هذا ايضا في الحياة العامة ، وأصبح هذا أمرا متعارفا عليه في أمثال هذه المواقف - فمن الذي غرس في مجتمعاتنا تلك العادة ، حتى صارت كالحقيقة التي لا تناقش ؟ ومن الذي أوهمنا بذلك والاسلام غني بتوجيهاته في معالجة هذه المواقف حين عامل المسلم كبشر له غرائزه وطبيعته ..

يغضب ويفرح ، ويسر ويساء الى غير ذلك من الغرائز . ونراه من اجل ذلك اصدر توجيهاته للتغلب على ما يعتري النفس من نقائص .

فقد امر رسول الله صلى الله عيه وسلم ان يقال عند الغضب :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » متفق عليه .

وأمر المسلم بأن يكف غضبه ويكظم غيظة ابتغاء وجه الله فقال :

« ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله تعالي » رواه ابن ماجه .

وغضب عمر بن الخطاب رضى الله عنه من رجل وأمر بضربه فقال له رجل : ياأمير المؤمنين « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فكان عمر يقول : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » يتأمل في الآية ويتدبرها .

وروى أنه كان في بني اسرائيل ملوك يتخذ كل واحد منهم حكيما . اذا غضب أعطاه صحيفة فيها : « ارحم المسكين واخش الموت واذكر الآخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه » .

واليوم نجد من يصدفون عن هدى الاسلام في مواجهة الغرائز الفطرية ويبحثون عن الدواء في غيره .

فيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير . ! أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين !! ونسوا أو غفلوا ان الله لا يجعل دواء الأمة في دائها !

● القدوة وأثرها ودور أجهزة الإعلام ●

للقدوة أثر لا يستهان به في التربية عموما والطفل مرآة بيضاء تعكس ما يراه في مهده الأول .. ولديه ولع بتقليد أبويه فيما هو حسن وما هو قبيح .وهوينشأفيجدأباه أو أمه(وهما معا يدخنان فينشأ على ما كان عوده أبوه . اذ يرى في أبويه بطولة ، ويظن أن التدخين هام وأنه من مكملات الشخصية السوية . ثم يكبر ويجلس امام « التليفزيون » فيرى شخصيات كبيرة في الفن والرياضة والسياسة تدخن امامه . وبعد حين يدخل المدرسة فيرى المدرس يدخن . ويخدم ذلك كله حبه للتدخين حتى يعتقد أنه من سمات النجاح في المجتمع . ثم انه حين يتصل بالطبيب للاستشفاء يرى الطبيب يشعل سيجارته . وبعد ذلك نقول له : التدخين ضار بالصحة ! وهل يكون ذلك الامثاراً السخريته !!؟ فقد ثبت في دراسة أجريت عن مدى انتشار التدخين تمت ضمن مشروع تقييم انتشار التدخين في مصر ان ٤٦,٨٪ من الأطباء يدخنون ، وأن ٥٤,٤٪ من المدرسين يدخنون ، ١٨,٥٪ من الرياضيين يدخنون ، ٧٠٪ من طلبة الجامعة يدخنون .

وثبت أن ٩٦٪ من الأطباء يعتقدون أن التدخين ضار بالصحة ، و ٦٧٪ من المدرسين يعتقدون نفس الحقيقة ، ومعنى ذلك أن ٣٣٪ من المدرسين لا يعتقدون أن التدخين ضار بالصحة . فعلينا حماية للجيل الجديد على الأقل أن نطهر البيئة التي يتربى فيها أطفالنا ، وهم فلذات أكبادنا وآمالنا . فلنتق الله فيهم ولا نضيعهم .

وعلى أجهزة الاعلام الجماهيرية الا تحسن من صورة المدخن في أنظار المتلقين اذا كنا صادقين في محاربة التدخين . وعليها أن تبذل جهودا مكثفة في عقد المؤتمرات والندوات الجماهيرية . فليست الحملة على التدخين بسيطة . إنما هي في حاجة الى تكاتف الأسرة والمدرسة والمسجد والسينما والتليفزيون والصحافة في هذه الحملة . وللأطباء الدور الرائد في هذا الميدان .

والاسلام يفضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف ... القوي في عقيدته وفي بدنه وفي عقله وفي إرادته .

وأخيرا من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ، ولا تزر وازرة وزر أخرى .... والله يقول الحق وهو يهدي السبيل !!

وقفة تأمّل

خطبة الجمعة

اعتلى شيخنا المنبر .. وحمد الله .. وأثنى عليه بما هو أهله .. وصلى وسلم على رسولة ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : أما بعد ..

وانطلق شيخنا يحدث الناس زمنا امتد ساعة أو قاربها .. وكان حديثه عن الحج .. لم يترك شاردة ولا واردة إلا أتى عليها .. والناس أمامه قد شغلهم عن السماع له معاناتهم من شدة الحر ، وطول الانتظار ، وكثرة الكلام ، وقصور طاقتهم عن الاستيعاب .. وشيخنا يواصل حديثه .. وكأنه عرف كيف يبدأ ، ولم يعرف كيف ينتهي ، وكأنه قد نسي أو تناسى أن كثرة الكلام ينسى بعضه بعضا .. وأن خير الكلام ما قل ودل ، وأنه ينبغي للخطيب أن يراعي حال السامعين ، وكان يكفيه أن يتحدث في جزئية من جزئيات الحج هذه المرة ، أو يعالج هدفا من أهدافه في خطبة جمعة ، وفي خطبة أخرى في يوم جمعة آخر يتحدث عن جزئية جديدة ، أو يعالج هدفا من أهداف الحج السامية .

ولكن شيخنا ـ قد اعتاد على الاطناب في موضعه وفي غير موضعه ، وكان يقول للمصلين وهو يخطب « أعلم أن فيكم من يقول عني .. الله يخرب بيتك طولت علينا » ومع ذلك فهو مستمر ، ويقول لهم : « من لم يعجبه حالنا ؛ فليذهب إلى مسجد آخر ، عند خطيب آخر ، لا يطيل الحديث ، فالمساجد كثيرة والخطباء كثر » . وقد اعتاد شيخنا أن يستخف بعقول سامعيه ،

ما هكذا يا شيخنا تكون خطبة الجمعة .. وما ينبغي لك أن تجعلها عذابا للمصلين ، وإذا كنت تريد المحاضرة في موضوع فليكن في غير خطبة الجمعة ، ولأناس يسمعون لك ، ويرضون بذلك ، حتى تؤتي الدعوة ثمرتها المرجوة .. ولتخاطب مستمعيك على أنهم علماء فاهمون ، فترقى عبارتك في غير تكلف ، وتبتعد عن ترديد عبارات غير مستساغة ولا مقبولة .

يا شيخنا .. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخول اصحابه بالموعظه بين فترة واخرى ولم يكن يطيل عليهم ، بل كان كلامه صلى الله عليه وسلم يحصيه العاد ، وهو كلام النبوة الذي لا يشبع منه المسلم ، فما بالك بحديثنا الذي يمكن الاستغناء عن خمسة وسبعين في المائة منه دون أن يختل المعنى .

رأفة بإخوانك المصلين يا شيخنا ، وجزاك الله عنا خيرا ،
واقرأ معي أول خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاءت في سيرة ابن هشام ـ وقف معها وقفة متأملة ـ يقول ابن اسحاق :
كانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ـ أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ، ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولي فبلغك ، وآتيتك مالا وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وخطبة أخرى :
قال ابن إسحاق :
ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة أخرى ، فقال :
ان الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه . أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقس عنه قلوبكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، قد سماه الله خيرته من الأعمال ، ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ؛ ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابوا بروح الله بينكم ، إن الله يغضب أن ينكث عهده ، والسلام عليكم .

ترى كم تستغرق هذه الخطبة النبوية من زمن ؟ وكم احتوت من معان ؟ وإذا كان الناس يحتاجون ـ الآن ـ إلى شرح بعض النصوص ، فليكن في الحدود التي توصل المعنى .. وفقط ، وجزى الله خطباءنا عنا خيرا .

فهمي الامام

كتاب الشهر

الاجتهاد

للدكتور/ محمد شوقي الفنجري

أولا ـ من حيث المؤلف

فضيلة الشيخ الدكتور / عبدالمنعم النمر غني عن التعريف ، فهو وكيل مشيخة الأزهر ووزير الأوقاف سابقا ، وهو عضو بارز نشيط بمجمع البحوث الاسلامية « هيئة كبار العلماء بمصر » كما أنه عضو أكاديمية البحث العلمي والمجالس القومية المتخصصة والمجلس الأعلى للثقافة والمجلس الأعلى للصحافة والمجلس الأعلى للشؤون الاسلامية .

وهو قبل ذلك صاحب ستة وعشرين مؤلفا اسلاميا ، تعرض لحكم الاسلام في مختلف مشكلات العصر ، بهدف الرجوع بالأمة في فهمها للدين والحياة الى الأساس الأول : كتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف قبل الاختلافات .

ثانيا ـ من حيث الكتاب

والكتاب الحالي « **الاجتهاد** » ، هو آخر ما صدر له حديثا بالقاهرة ، ويقع في نحو اربعمائة صفحة ، وقد جاء في قمة مؤلفاته الاسلامية ، اذ هو خلاصة قراءاته الواسعة واجتهاداته الكثيرة خلال نصف قرن . إذ فضيلته ـ حفظه الله وأطال عمره ـ من مواليد ١٩١٣ بدسوق ـ كفر الشيخ وقد حفظ القرآن في طفولته ، ودخل الأزهر سنة ١٩٢٦ وحصل على الشهادة العالية من كلية أصول الدين والعالمية من كلية اللغة العربية

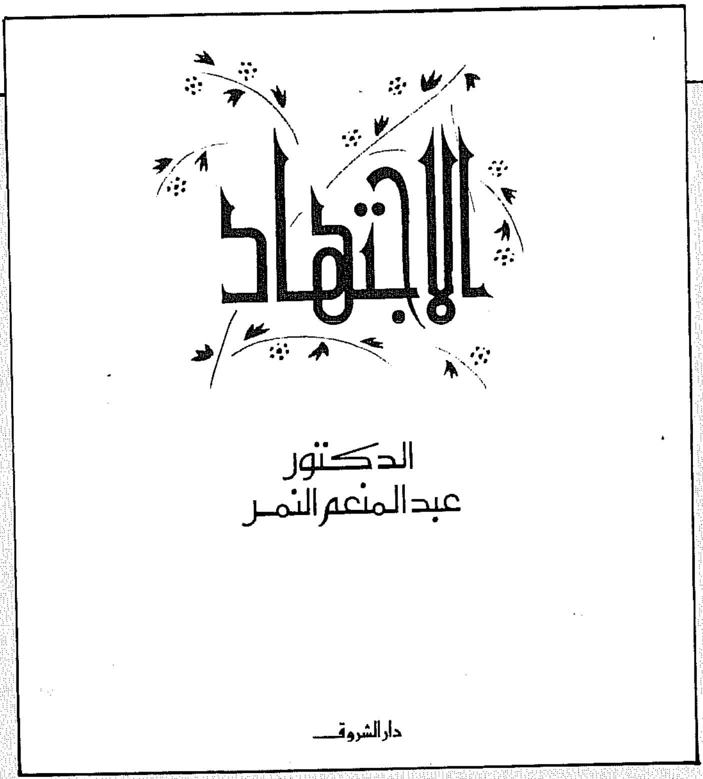

والدكتوراه من جامعة الأزهر ، وقام بالتدريس والمحاضرة بمختلف الجامعات العربية والاسلامية .

ويعرض الكتاب لتاريخ **الاجتهاد** ، الذي هو المصدر الثالث للتشريع الاسلامي بعد القرآن والسنة ، فيبين لنا كيف كان الاجتهاد ، وكيف صار .

فنراه يعرض تفصيلا لاجتهادات السابقين : صحابة كانوا أم تابعين أم أئمة ، وكيف تصرفوا إزاء النصوص القطعية منها والظنية الدلالة ، وإزاء الأمور التي لم يرد بها نص أصلا ، مبينين حكمها الشرعي على ضوء المصلحة باعتبارها مناط الشرع ، وما اختلافهم في الآراء الا تبعا لاختلافهم في تقدير أو تحقيق هذه المصلحة ، وان ذلك مما أثرى الشرع الاسلامي واظهر يسره ومرونته كتشريع عالمي صالح لكل زمان ومكان .

ثم نراه يعالج بدقة ووضوح ، كيف توقف الاجتهاد لما انتفت أجواؤه ممثلة أساسا في : حرية الرأي ، وحرية تنقل العلماء بين الأقطار الاسلامية ، وثقة الناس فيهم لعفتهم عن تحكم الدنيا فيهم .

حتى اذا انتفت هذه الأجواء ، غلب التقليد على العلماء ورضوا به خطة لهم ، الى ان أصبح أغلبهم عالة على فقه الأئمة الأربعة ، والذين أصبحت أقوالهم بمنزلة نصوص القرآن والسنة ، بل واحيانا مقدمة عليهما وبذلك نشأت سدود بين الأمة وبين نصوص الشريعة تضخمت شيئا

فشيئا الى ان وقع البعد عن الكتاب والسنة . وازدادت بالتالي الفجوة بين مقتضيات الحياة وبين الأحكام التعسفية التي أصدرها علماء الدين المتأخرون ، والذين قصروا علمهم على ما في الكتب القديمة مع عجزهم أو سكوتهم مددا طويلة عن الخروج بالحكم الشرعي المناسب للناس ، خاصة وان بعض الأحكام في المسائل الفرعية التي قررها السابقون بناء على ظروف زمانهم لم تعد صالحة ولا محققة للمصلحة التي هي هدف الشرع الاسلامي ومبتغاه .

ولا يكتفي المؤلف كغيره ، بإطلاق صوته بالاجتهاد وضرورته ، وانما نراه يبدي آراءه الفقهية في مختلف المسائل المستحدثة كالتأمين والبنوك وشهادات الاستثمار .. الخ . وذلك بعد ان يشرح أصوله الفقهية التي يستند اليها ، والتي من أبرزها التفرقة بين نصوص العبادات التي لا اجتهاد فيها الا ما تعلق بالمسائل الفرعية التفصيلية ، ونصوص المعاملات التي يتسع مجال الاجتهاد فيها خاصة بالنسبة لنصوصها ظنية الدلالة ، بالاضافة الى الاجتهاد اللازم وجوبا فيما لم يأت فيه نص أصلا بحيث تأثم الأمة كلها اذا انتفى منها المجتهدون في أي عصر من العصور .

هذا وقد حرص المؤلف في دعوته للاجتهاد في مجال المعاملات ، وعدم التقيد بآراء الفقهاء القدامى ، والفتوى بموجب ما تقتضيه المصالح المتغيرة بحسب ظروف الزمان والمكان أي (مراعاة مقتضى الحال) ، أن يزيل شبهة التجرؤ على النصوص بدعوى المصلحة أو الاحتجاج بما قرره بعض علماء أصول الفقه بأن (المصلحة الراجحة اذا عارضها نص أو اجماع ، غلبت المصلحة على النص والاجماع) ، باعتبار ان غاية الشرع الاسلامي هو تحقيق المصلحة وحيث توجد المصلحة فثمة شرع الله . وذلك بتأكيد فضيلته المتكرر ؛ بأن الذي يقرر غلبة المصلحة هم : « أهل الذكر والتخصص والخبرة ، لا أهل الهوى والغرض أو ناقصو العلم » . ويضيف فضيلته بأنه رغم ذلك ، اذا كان هناك خوف من سوء استغلال هذه القاعدة الأصولية ، فإن ذلك لا يمكن ان يعطل المبادىء وان الحقيقة في النهاية هي التي ستبقى : (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض)** الرعد/١٧ وانه اذا كان هناك من أساءوا أستغلال الحرية والديمقراطية فهل يعني هذا ان نحجب الحرية والديمقراطية والشورى عن الناس ؟

ثالثا ـ التعرض لقضايا أصولية فقهية دقيقة

ولكي يصل المؤلف الى اهدافه بعيدة المدى ، تعرض لقضايا ومسائل أصولية فقهية دقيقة للغاية ، مما عبر عنه الإمام ابن القيم : « هذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام » .

ومن قبيل ذلك بيان أنواع السنة

واختلاف الحكم الشرعي بحسب كل نوع . وهنا يبرز المؤلف مؤكدا في صراحة ووضوح ؛ بأنه ليست كل أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام عن وحي ، بل يتعين التفرقة بين : ما صدر عن الرسول عليه الصلاة والسلام كمبلغ أو مشرع ، وما صدر عنه كإمام أو حاكم ، وما صدر عنه كمحكم أو قاض في خصومة ، وما صدر عنه كفرد أو إنسان . ولقد أوفى المؤلف هذه القضية الدقيقة حقها من الدراسة والاقناع ، مبينا بالأمثلة العديدة ان الصحابة أنفسهم كانوا يفرقون بين ما كان من أوامر الرسول عليه الصلاة والسلام في مقام التشريع فيسلمون به ويطيعون ،

وما كان في غير مقام التشريع فيتوقفون أو يعارضون ، وانه اذا أشكل عليهم أمر سألوا عنه الرسول عليه الصلاة والسلام أهو حكم ملزم لهم أم هو اجتهاد فيناقشونه ؟ .. وذلك كما حدث في مراجعة الحباب بن المنذر للرسول في غزوة بدر بتغيير الموقع وسؤاله أهذا عن وحي أو عن رأي وتدبير منه ، فلما اخبره انه الحرب والمكيدة أشار بموقع آخر أخذ به الرسول . ومثله مراجعة اهل المدينة للرسول عليه الصلاة والسلام حين تفاوض مع آل غطفان لرجوعهم عن محاصرة المدينة في غزوة الأحزاب نظير تمر يدفعه اهل المدينة لهم ، وذلك بقولهم نحن لم ندفع لهم شيئا قبل الاسلام فكيف وقد أعزنا الله به ، فأعرض عنهم . وكما حدث في نهيه عن أكل لحوم الحمر الأهلية وكسر قدورها الفخارية لنجاستها ، ومراجعة سيدنا عمر له بالاكتفاء بتطهيرها بالغسل فوافقه . ومثله نهيه في خطبة الوداع عن قطع اشجار الحرم ، ومراجعة العباس له لاستثناء شجر الاذخر لاستفادتهم منه وعدم استغنائهم عنه فوافقه . ولو كان الأمر عن وحي لما وافقه .. الخ . وقد ذكر القرآن ما يدل على أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يجتهد ، وذلك في عتابه للرسول في **أسرى بدر/ الأنفال/٦٧** ، وفي إذنه السريع لبعض المسلمين « المنافقين » بالتخلف عن الخروج معه للجهاد « **التوبة/٤٣** » . وفي إعراضه عن الأعمى ابن مكتوم واقباله على محادثة كبار مشركي مكة أملا في إسلامهم (**عبس/١ ـ ١٤**) . وقد جاء في الحديث الصحيح عن الرسول عليه الصلاة والسلام : « إنما أنا بشر مثلكم ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر » ، وقوله في تحكيم : « إنما أنا بشر وانتم تختصمون إليّ ... » .

ومن القضايا الدقيقة أيضا التي تعرض لها الكتاب ، بيان المصلحة المعتبرة وضوابطها . وهنا يبرز المؤلف مؤكدا في صراحة ووضوح ، انه في مجال المعاملات اذا تعارضت المصلحة الراجحة مع ظاهر النص والاجماع ، قدمت رعاية المصلحة على طريق البيان أو التخصيص للنص أو الاجماع . وهو في ذلك يتفق مع رأي الفقيه الحنبلي الطوفي ، والذي ثارت ضده الاعتراضات ، فدلل المؤلف بأمثلة

عديدة على ان الطوفي بهذا لم يأت بجديد مخالف ، وأن ما أبداه هو أصل معمول به منذ عهد الصحابة والتابعين ومسلم به لدى مختلف الفقهاء والأئمة ، ولكن التصريح به ربما يكون هو الجديد ، والعادة جرت على أن الناس ترى أو تعمل الشيء احيانا ولكنها تكره التصريح به .

وأوضح المؤلف انه من قبيل الاجتهاد مع النص في عهد سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عدم إقامته الحد على السارق عام المجاعة ، ورفضه إعطاء المؤلفة قلوبهم إعمالا للنص القرآني بشأنهم ، واجازته قتل الجماعة بالواحد خلافا لأصل المساواة في القصاص وان النفس بالنفس والعين بالعين ، واثباته الطلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس واحد على خلاف الأصل بأن يعتبر طلقة واحدة .. الخ . واقرار الصحابة له في ذلك كله . ومثله ـ في الخروج على النص ـ أجازة سيدنا عثمان رضي الله عنه ـ التقاط ضالة الإبل ، على خلاف الأصل بنهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن التقاطها حماية لها حتى يأتي صاحبها ، وذلك لما تبين له ووافقه الصحابة أنه في زمن الرسول كان المجتمع عربيا محدودا لا يغشاه أغراب فكان الأمان موجودا ، أما في زمن عثمان فقد تغير الوضع بعد أن صارت المدينة عاصمة كبرى لعالم إسلامي واسع وأتى اليها الناس من كل مكان في الشرق والغرب ، فجاء الحظر على التقاط الإبل الضالة ، وتغيرت المصلحة واصبحت في التقاطها حماية لها حتى يأتي صاحبها . ومثله تضمين سيدنا علي ابن ابي طالب الصناع والأجراء فيما تحت أيديهم ، خلافا لنص الحديث النبوي : « لا ضمان على مؤتمن » ، وتبريره ذلك بقوله : « لا يصلح الناس الا ذلك » . حتى وجدنا القاضي شريح الذي عينه عمر بن الخطاب وامتد عمله بالقضاء عشرات السنين يحكم في أواخر حياته بأحكام تخالف ما سبق أن أصدره أيام الخلفاء الراشدين ، ولما سئل عن ذلك قال : « تغيرت الذمم فكان لا بد أن تتغير الأحكام » ، وهو ما عبر عنه الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز بقوله : « تحدث للناس أقضية بقدر ما يحدثون من فجور » . ومثله في العدول عن النص في عهد التابعين إجازتهم للتسعير على خلاف ما أثر عن الرسول عليه الصلاة والسلام من النهي عن التسعير ، وعدم قبولهم توبة المحارب وايقاف عقوبته اذا جاء تائبا وسلم نفسه قبل القبض عليه خلافا للنص والاجماع .. الخ . وفي عهد الأئمة فتوى الامام « **أبي حنيفة** » بإعطاء بني هاشم من الصدقة على خلاف النص والاجماع ، وفتوى الإمام الغزالي بقتل أسرى المسلمين اذا تترس بهم عدو على خلاف النص والاجماع ... الخ .

ومن القضايا الدقيقة ايضا التي تعرض لها فضيلة المؤلف ، دراسته الجديدة المتعمقة حول العلة والحكمة . وهنا يبرز المؤلف

مؤكدا ، بأن رفض بناء الأحكام على الحكمة رفضا مطلقا ، هو مسلك غير صحيح وغير علمي . ثم ينطلق بحماس ، مدعما رأي الأقلية المجيزين للتعليل بالحكمة سواء أحيانا أو مطلقا دون تحفظ . ويربط هذا بأن أساس تحريم الربا هو الحكمة لا العلة ، وذلك بظلم المدين واستغلاله ، بحيث يستبعد وصف الربا عن الكثير من المعاملات متى انتفى عنها صفة الظلم والتظالم . ويشير فضيلته في صفحة ٣٣٨ و٣٦٤ من كتابه الاجتهاد ، بأن ذلك هو ما انتهى اليه مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، حيث قرر في آخر اجتماع عقد له في سنة ١٩٨٤ شرعية عوائد شهادات الاستثمار ، غاية الأمر كما رأي مجلس المجمع أن تستبدل بكلمة : « فوائد » كلمة : « أرباح » أو عطية أو منحة لإزالة الشبهة الحاصلة عن كلمة : « فوائد » في أذهان الناس .

ومن قبيل القضايا الدقيقة التي تعرض لها المؤلف في تفصيل ووضوح ، أيضا قضية تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة ، حتى ان الامام الشافعي حين قدم الى مصر أفتى بمذهب مخالف لما سبق ان أفتى به في العراق ، ويؤكد المؤلف ان عدم مراعاة المصلحة بتغير الزمان والمكان هو جهل وتضليل ، طالما ان اعتبار هذا التغيير لا يخرجنا عن دائرة الشرع وقواعده الأصولية ، وهو ما عبر عنه علماء أصول الفقه بأنه : « خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان » . ونضيف بأن لشيخ الاسلام ابن تيمية تعبيرًا دقيقاً في هذا الخصوص ، هو قوله بأنه : « خلاف تنوع لا خلاف تضاد » .

ومن قبيل ذلك أيضا دراسته الجديدة المتميزة حول : « **من الذي يجتهد** » . والتفرقة بين المجتهد المطلق أو العام وبين المجتهد الجزئي أو الخاص . ثم تأكيده ، بأن الاجتهاد اليوم أيسر مما كان ، اذ آيات الأحكام مجمعة ومفسرة ، والأحاديث كذلك مدونة بدرجاتها ، وكل ذلك مشروح شرحا وافيا من شراح متعددين وفي كتب متعددة في متناول الجميع . وعبر عن ذلك في تقديم كتابه على غلافه بقوله : « الاجتهاد ليس صعبا ،! وليس غولا كما يتصور البعض ويغشاهم الخوف منه ويرتعدون .. بل إنه صار الآن أسهل مما كان في الماضي ، حيث توفرت لدى الباحثين كل المراجع اللازمة في مسيرة الاجتهاد ، مما لم يكن بعضه متوفرا زمن الأئمة المجتهدين .. فأصبحنا ولا عذر لنا ، ولكن يظهر انه من طول ما قعدنا وتربعنا تيبست عظامنا ، حتى هبنا الوقوف والحركة .. ولكن الى متى ؟!! » .

ورغم معالجة الكتاب لأدق المسائل الفقهية ، على نحو ما تقدم ، مما يتصور معه أنه للقارىء المتخصص في الشريعة وحده ، إلا أنه في الواقع للقارىء غير المتخصص ايضا ، وذلك بما حرص عليه المؤلف من تقديم المادة بأسلوب سهل على كل قارىء ، ومن تبسيط وتقريب في عرض القضايا

التي عقدها التأليف في العصور المتأخرة ، حتى أصبحت صعبة الفهم حتى على المتخصصين .

رابعا : القيمة العملية للكتاب

والكتاب يمزق غلالة الخوف والتهيب الذي أحاط بنا زمنا طويلا ، ويفك القيود التي قيدنا انفسنا بها دهورا . فالاجتهاد فرض ديني على المسلمين في كل عصر كالجهاد ، وكلاهما جهاد في سبيل الله : هذا في ميدان ، وذاك في ميدان .

فلا بد كما يصر بحق ، المؤلف ، أن يتحرك القادرون على الاجتهاد ويجتهدوا ، ولا بد ايضا من توفير الجو الذي يتحركون فيه بأمان ، فهم يؤدون أو يقومون بغرض ديني نيابة عن الأمة كلها . وحسبهم قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر » هو أجر اجتهاده ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » .

وكما يقول المؤلف في صدر كتابه : إن قضيتنا الجديدة هي أن نتخلص من وهم توقفنا عن الاجتهاد بدعوى انه ما ترك الأوائل للأواخر شيئا وأنه لم يكن في الامكان أبدع مما كان ، بل أن نشعر بواجبنا إزاء شريعتنا ومجتمعنا وننظر في صلب القضية وهي ذات شقين :

أ ـ الشق الأول : الأحكام الفرعية التي قررها السابقون الكرام على ضوء ظروفهم والمصلحة في أيامهم . وهذه لا بد ان ننظر فيها من جديد على ضوء ظروفنا والمصلحة في أيامنا ، ولا نأخذ كل قول قضية مسلمة حتى ولو كان مخالفا لظروفنا ومناقضا للمصلحة في أيامنا .

ب ـ الشق الثاني : الأحداث الجديدة التي لم يسبق لهم قول فيها أو في موضوع يشبهها ولا يمكن إلحاقها به . فهذه تحتاج لحكم شرعي جديد ، وعلينا ان نعمل عقولنا ونجتهد على ضوء الأصول المعروفة لاستنباط حكم لها ، ولا يجوز بحال من الأحوال أن نلحقها تعنتا بحكم سابق لمجرد وجه من وجوه الشبه بينهما .

لقد اختلف الصحابة والائمة في آرائهم ، ومع ذلك لم يوجه أحد منهم كلمة نابية لمخالفيه ، واذا تجادلوا فبالتي هي أحسن . وما هو حاصل اليوم من تجريح بعض العلماء لمخالفيهم في الرأي ، هو سد لباب الاجتهاد وتعطيل للشرع ، وهو عادة سلاح العاجزين وأسلوب المنحرفين .

خامسا : اليقظة التحررية أو الصحوة الحقيقية :

ولقد بين المؤلف في أكثر من موضع ، بأنه ما داخ العالم الاسلامي وتخبط في متاهات الطرق المستعارة ، إلا لأن الذين سيطروا على زمام الأمور فيه كانوا غير واعين وغير ملتزمين بالثقافة الاسلامية بل متشبعين بالثقافة الغربية . وكان من أهم

أسباب ذلك جمود علماء الدين وعدم اجتهادهم . وتقيدهم بالكتب القديمة وإصرارهم على اقوال وآراء الفقهاء القدامى ، بل وتعبيراتهم ومصطلحاتهم التي لم تعد مفهومة أو ملائمة للغة العصر ، فانصرف عنهم ولاة الأمور ولم يتجاوب معهم العامة .

وأظهر المؤلف في وضوح ، **بأنه ليس من سبيل للوقوف في وجه الفساد المستورد ، سوى إحياء روح الاسلام بالاجتهاد ، وتقديم البديل ممثلا في الحلول الاسلامية الكفيلة بالإصلاح ، وإن في هذا وحده اليقظة التحررية أو الصحوة الحقيقية** .

وكما قلنا في كتاب المذهب الاقتصادي في الاسلام إن اكبر ضربة وجهت إلى الاسلام هو العزوف عن الاجتهاد والركون إلى التقليد ، فامتنعت المواءمة بين تعاليم الاسلام وواقع المسلمين ، وكلما امتد بهم الزمن بعدوا عن الاسلام في قوته ووضوح مبادئه والتزموا بعادات وتقاليد وتفسيرات بعيدة عن الاسلام ، فتأخر بذلك المسلمون وتمكن منهم المستعمر . وانه مهما قال واطنب المسلمون في دينهم ، فإن العالم الخارجي لن يصدقهم ، ولم يقدّر احد الاسلام الا اذا رأى في المسلمين انفسهم المثل الطيب الذي يعيش ما يقول ويؤمن به . وهم لن يمثلوا الاسلام أو يعيشوا به ، إلا إذا عرفوه معرفة واعية سليمة من مصادره الاولى القرآن والسنة ، واتصلوا به اتصال سلوك وتطبيق .

ومن هنا فإننا نشاطر فضيلة المؤلف الرأي بأن نقطة البداية هي فتح باب الاجتهاد في مختلف تحديات العصر ومشكلات اليوم ، بهدف الكشف عن حلولها الاسلامية . وعلى أن يتم ذلك وهو أمر اساسي ، بدون تعصب أو حساسيات بين علماء الاسلام أو تجريح بعضهم بعضا ، فالجميع مسلم مؤمن ينشد الحقيقة والحل الأمثل في دائرة الشرع ووفقا لأصوله وقواعده العامة . ولندرك جيدا أن اختلاف الرأي متوقع حتما ، بل هو مستهدف ومطلوب ، إذ كما سبق أن أشرنا هو : « خلاف زمان ومكان لا حجة وبرهان » ، او هو : « خلاف تنوع لا خلاف تضاد » . وأن ساحة الله لم تضق بالمجتهد وإن أخطأ ، فكيف يضيق بعض العلماء بآراء اخوانهم المخالفين ، وكل يرد عليه الخطأ والصواب . وحينئذ يعيش الفكر الاسلامي أحداث يومه لا وقائع أمسه ، وحينئذ تعود للاسلام حيويته ، ويعود إلى حقيقته الأصلية رسالة حضارية لا مجرد شكليات ومظاهر .

ولقد أحسن فضيلة المؤلف في كشفه عن تخلف وضياع المسلمين ، حين ركنوا إلى الكتب القديمة واكتفوا من قرآنهم بالتبرك وحفظ بعض آياته دون التفقه والعمل بتوجيهاته ، فتعطل أو صدأ هذا : « الدينمو » الذي أمد المسلمين الأوائل بالقوة والعزة والضياء . حتى كان يقال على الواحد منهم إنه قرآن يمشي على الارض . وأدرك أعداء الاسلام خطورة هذا « الدينمو » وفاعليته ،

فركزوا جهودهم على بقائه مهملا وابعاد الأمة عن التفكير الجدي فيه ، والقرآن يأبى للعقل أن يتعطل أو تشل حركته ، كما يأبى لأمة أو جماعة الاستعباد أو الاذلال لحاكم من بنيها أو غير بنيها ، وهو كله دعوة للايمان والعمل ، وصرخة للتحرر والقوة والتقدم . ليكون المسلم بحق خليفة الله في أرضه ، وصدق الله العظيم : **(من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)** الاسراء/ ٧٢

سادسا : انطباعاتنا بشأن الكتاب :

والواقع أن كتاب **(الاجتهاد)** ، هو من كتب القمة والشوامخ المضيئة على مر الأيام ، والتي تتوج وتزين كل مكتبة ، وتفيد وتثرى كل قارىء .

ولقد حقق المؤلف بهذا الكتاب أملا يتطلع إليه كل باحث اسلامي ، ألا وهو عرض علم أصول الفقه عرضا جامعا مبسطا ، وبأسلوب ولغة العصر بعيدا عن المصطلحات المعقدة والالفاظ المهجورة والتعبيرات التي عفا عليها الزمن ، مع تعرضه للمسائل المستجدة والقضايا المستحدثة واجتهاده فيها باستظهار حكمها الشرعي ملتزما بأصول الشريعة وقواعدها العامة . وهو بذلك يعتبر اضافة جديدة في علم أصول الفقه ، يجزيه الله عنه خير الجزاء .

خاتمة :

إن الصحوة الاسلامية في جوهرها ، هي حركة اجتهاد واحياء لديننا ، بواسطة تجديد الفكر الاسلامي وتصحيح مساره . فهي مشروع حضاري لإنهاض الامة الاسلامية ، او هي بعبارة اخرى الاصلاح باسم الاسلام وبمقتضى تعاليمه ، باعتباره البديل الوحيد لانقاذنا وتخليصنا من الهيمنة الاجنبية شرقية كانت أم غربية وما جرته علينا من نكسات ونكبات .

ولقد وفق المؤلف فضيلة الشيخ الدكتور النمر ، حين أكد في أكثر من موضع من كتابه ، وبدقة ووضوح ، أن هذه الصحوة لن تتحقق الا بإصلاح التعليم الديني في كافة مدارس وجامعات العالم الاسلامي ، وعلى رأسها الأزهر الشريف ، لتكون الثقافة الاسلامية كما ارادها الله مصدر قوة وتحرر وجذب واشعاع وتقدم ، لا كما أرادها المستعمر أو بعض ولاة أمورنا الضالين مصدر تخدير وتجميد واستسلام ومظاهر وشكليات . وانه لن تتم ايضا هذه الصحوة الا بفتح باب الاجتهادعلى مصراعيه ، **وأن الشرط الأول للاجتهاد والافتاء** : هو استيعاب متغيرات العصر ومتطلبات الواقع في ضوء مقاصد الشريعة .

والواقع أن كتاب الاجتهاد صرخة مدوية ، صادرة من اعماق عالم واع مخلص ، لاخوانه من علماء الدين في عصرنا الحاضر ، بالتزام التفكير والتدبر الذي هو دعوة القرآن ، واعتبار تحقيق المصلحة التي هي مناط الشرع ،

وولوج باب الاجتهاد باعتباره فرضا لازما على كل عصر، بحيث إذا لم يوجد فيه مجتهد كان على ولي الأمر أن يعد علماء لذلك، لتستمر الشريعة في عطائها وليجد المسلمون باستمرار احكاما شرعية للأحداث المستجدة، بل ليجدوا الاحكام المناسبة لمصلحة الناس في كل عصر ولو كان قد سبق للماضين ايجاد حكم لها، اذ ان الاحكام تتغير بتغير الظروف والاعراف وتدور مع المصلحة وتحقيقها لتنظيم امور الناس، فلا يلاقون بخسا ولا إرهاقا من بعض الاحكام التي أصبحت تتنافى والمصلحة لتغير الظروف.

فالاجتهاد ليس فحسب المصدر الثالث للشريعة بعد القرآن والسنة، بل هو قوام وروح هذه الشريعة، وتعطيله أو العدول عنه إلى التقليد، هو بمثابة تجميد للشرع بل حكم عليه بالزوال والفناء، ليخلص الجو لهيمنة الافكار والانظمة الاجنبية شرقية كانت ام غربية، وبالتالي يستمر استغلالنا واستغفالنا لصالح الاجنبي وقلة من ولاة امورنا الضالين.

جازى الله الصديق المبجل الشيخ الدكتور النمر على كتابه المنير الشامخ القيم، موضوع هذه الدراسة. وقد اسعدنا بقراءته، فحرصنا على عرضه والتعليق عليه. وإذا كان قد اسعدنا خبر تقدير مصر لمساهماته العلمية في خدمة الاسلام، فمنحته جائزة الدولة التقديرية، **الا اننا نرى أن التقدير الحقيقي والمكافأة الكبرى، هو الاستفادة من بحوثه ودراساته، والأخذ بمقترحاته في اصلاح التعليم الديني خاصة بالأزهر الشريف، وإخراج توصياته الى حيز التنفيذ**.

اطال الله في عمر فضيلة الشيخ الدكتور النمر، ليرى ثمرة عمله، ووفقنا الله جميعا سواء السبيل.

هذا الكتاب الذي عرضه الدكتور/ الفنجري .. قد يثير تساؤلات وقد تتخذ معه موقفا .. وقد تعارضه في بعض ما ذهب إليه أو توافقه، غير أن كتاب « الاجتهاد » جهد عالم جليل حريص على خدمة دينه، ولا مانع أن تخالفه الرأي لكن ينبغي أن يكون خلافنا خلاف علماء مخلصين لدينهم، ومن هنا فالوعي الاسلامي تفتح صفحاتها للكلمة الهادفة الطيبة خدمة لقضايا أمتنا الاسلامية، ونسأل الله الهداية والتوفيق.

غزو

من الداخل

للأستاذ / جمال سلطان

لعلنا لا نأتي بجديد عندما نقول : إن الاسلام يواجه في طور نهضته الحديثة والمعاصرة ، تحديات بالغة الصعوبة والتعقيد ، من خلال عداءات متعددة الجوانب ، ومختلفة الدوافع ، ومتغيرة الأساليب ، زاد من ضراوتها أخيرا ما أظهرته الدراسات التبشيرية ، والاستشراقية « الاستعمارية » الحديثة ، فضلا عن الواقع المعاصر ذاته ، من تغلغل الفكرة الاسلامية في ضمير مجتمعاتها ، على الرغم من كل محاولات الاذابة والاماتة ، إضافة إلى الهاجس الذي ما عاد مستترا اليوم ،

لدى كافة القوى المعادية للاسلام ، مما أظهرته عمليات الرصد المستمرة والدقيقة ، من قابلية هـذه الفكرة للتفجر والانبعاث ، في صورة دفق حضاري جديد ، لا ينقصه سوى مجرد الايقاظ والتنبيه .

إلا أن ما نريد أن نلفت الذهن إليه هنا ، هو أن تركيز البحوث الاسلامية المعاصرة ، على التحديات الخارجية ، والهجومات التبشيرية والاستشراقية على حد سواء ، قد أدى إلى شغلنا طويلا عن إدراك تحديات أخرى ، بالغة الخطورة ، تنبع من داخلنا ، وبين أظهرنا ، ولسنا نبالغ إذا قلنا : إن هذه الهجومات الداخلية ، هي أبلغ خطرا ، وأعمق أثرا ، من أي بث معاد آخر ، يمكن أن تقوم به أجهزة الهدم ، والغزو الفكري ، بما تتغلف به من ستارات مضللة ، تخدع الكثيرين عن طبيعة مسالكها ، وحقيقة اهدافها .

ومن الضروري هنا ، أن نعيد إلى ذاكرة المسلم المعاصر ، شيئا مما أثبتتـه مقررات مؤتمـرات التبشير الحـديثة ، من مشـاريـع خطط جديدة ، تهـدف إلى اتخاذ أقـرب المسالك ، التي تؤدي إلى غزو العالم الاسـلامي فكـريـا ، وعـلى وجـه التحديد ، نذكرّ بذلك التقرير الخطير ، الذي خلص بعد تأمل العديد من الدراسات النظرية ، والاستقراءات الـواقعية في ديـار المسلمين - إلى التأكيد على « أن تبشير المسلمين ، يجب أن يكون بوساطة رسول من أنفسـهم ، ومن بين صفوفهم ، لأن الشجـرة يجب أن يقطعهـا أحـد أعضائها »

وإذا أضفنا إلى ذلك ، ما قرره « أ . لوشاتليه » ، من أن الهدف الأول ، والمقصود الأكبر ، من عمليات التبشير في ديار المسلمين بالذات ، هو « هدم الفكرة الدينية الاسلامية » .

استطعنـا أن نكشف عن أحد المسالك الخطيرة ، التي يتوجه إليها البث الفكري المعادي ، وذلـك هو مسلك : « هدم الفكرة الاسلامية عن طريق أحد أبنائها » أو بتعبير آخر « الغزو من الداخل » .

ويدفعنا إلى إعادة هذا البيان إلى ذاكرة المسلم المعاصر ، طول التأمل ، في هذا السيل الدافق من الدراسات الجديدة ، التي تخوض في قضية « التراث الاسلامي » ، ولاسيما تلك الدراسات التي خرجت - ولماتزل - من مداد أقلام ، عرف عنها « العداء الـعقـائـدي » لمعطيـات الفكـرة الاسلامية ، المبثوثة في هذا التراث ، والمستقاة من منارتيه وعماديه ، كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومما يدعو للريبة - كذلك - في هذا المنحى الجـديد ، إحـاطة أوسـاط التبشير ، والاستشراق المعاصر ، لتلك الـدراسات وأصحـابها ، بـالعطف البالغ ، والرعاية غير المألوفـة ولا السوية ، وحرص هؤلاء وأولئك ، على الترويج لتلك الدراسات والأبحاث ، في ديار المسلمين ، وفي الواقع الفكري الأوروبي المعاصر ، الذي بدأ يشهد تحـولا ملحـوظـا صـوب الفكـرة الاسـلامية ، حيث يقـدمون هـذه الأبحاث على أنهـا تمثل « الفكـر الاسـلامـي العقـلاني الثـائـر

والمستنير » .

ويزيد هذه الريبة عندنا عمقا ، وتأكيدا ، ما تبثه هذه الأبحاث والدراسات ذاتها ، في ثنايا سطورها ـ عفويا أو عن قصد ونية ـ من تلميح وتصريح ، تكشف فيه عن أهدافها الحقيقية المستترة خلف هذا التوجه الجديد منهم ، والمثير للدهشة .

إنا قد وجدنا هذه الأهداف ، تكاد لا تخرج قيد أنملة ، عن مفاد المخطط الذي وضعته محافل التبشير في مطالع هذا القرن ، لتشويه التراث الاسلامي ، وهدم الفكرة الاسلامية .

هذا من جانب النظر الخارجي ، ودلالات المواقف والمنطلقات المشبوهة ، أما من جانب « المضامين الهدامة » التي تحملها هذه الدراسات ، فهذا ما سوف نعرض له الآن ـ بعون الله ـ من خلال نموذج معبر ، تمام التعبير ، عن هذا التيار الجديد ، وأبعاده الخطيرة .

هذه الدراسة بمثابة « اطروحة » لنيل درجة الدكتوراة ، قدمت تحت إشراف « رجل دين مسيحي » وقد ترشح صاحبها ، من قبل دوائر الاستشراق الأوروبي المعاصر ، لنيل جائزة عالمية شهيرة ، بوصفه : « شاعرا أو مفكرا إسلاميا ثائرا » !!

وإن كنا نهتم هنا ، بعرض ما قدمته الدراسة ، من رؤى فاسدة ، تهدف إلى تشويه « الفكرة الاسلامية » ذاتها ، في نظر الانسان المعاصر ، إلا أنه لا يفوتنا التنبيه على ماقدمته هذه الدراسة ، من تشويه واسع لوقائع التاريخ الاسلامي ، حتى في اشرق صفحاته ، ونكتفي هنا بعرض نموذج لهذا التشويه في طرح الدراسة تصورها لحادث تولية أبي بكر الصديق للخلافة ، إذ تقول الدراسة : « إن النبوة / الملك / الخلافة » تأسست والنبي يحتضر ، في مناخ اقتتال ، بل يمكن القول بأنها تأسست بمبادرة شبه انقلابية ، أي بشكل من أشكال العنف ، الأقوى لا الأحق ! هو وارث النبوة/ الملك ، أو هو الخليفة » ..

وهذه الأكذوبة ، هي ـ بنصها ـ رجع الصدى ـ من الداخل ـ لمقولات وسموم « يوليوس فلهوزن » في كتابه « تاريخ الدولة العربية » ، وهي تزوير مفضوح للوقائع ، يدركه من له أدنى دراية بالواقع العربي آنذاك ، وموازين القوة فيه ، ولنا أن نسأل : أي قوة تلك التي كان يملكها أبوبكر ـ رضي الله عنه ـ وتفوق بها على بني أمية وبني هاشم وبني العباس ، فضلا عن الأوس والخزرج ، أصحاب الدار ، وهو الذي عجز قومه عن حمايته في مكة ، فأجاره « ابن الدغنة » ليحميه من بطش قريش ؟! ، أي قوة تلك التي يملكها الصديق ، والتي مكنت له من تحقيق « الانقلاب بالقوة » ؟! اللهم إلا أن تكون قوة الحق والبصيرة والسبق في الخيرات ، تلك التي دفعت المسلمين إلى أن يقولوا « رضيه رسول الله لديننا ، أفلا نرضاه لدنيانا » ، والتي جعلتهم يكبرون في أنفسهم أن يتقدموا رجلا هو « ثاني اثنين إذ هما في الغار » ، حتى أن رجلا مثل عمر ، وهو من هو في الاسلام ، يقول : «كان والله أن أقدم ، فتضرب عنقي ، لا يقربني ذلك

إلى إثم ، أحب إليَّ أن أتأمر على قوم فيهم أبوبكر .

أم أن كل خلاف في الرأي ، وكل تباين في الاجتهاد ـ وهو ما لاتخلو منه حتى أرقى مجالس الديمقراطية اليوم ـ يعد اقتتالا ، وانقلابا ، وعنفا ؟!

بيد أننا ـ كما قدمنا ـ ، يهمنا في هذا المقام ، عرض ما قدمته الدراسة من آراء في الفكرة ذاتها .

تعرض الدراسة ، لبعض المفاهيم والقيم التي تطرحها الفكرة الاسلامية ، ولا سيما مفهوما « الحق ، والحرية » فتقرر صراحة ، أنهما « شكلان آخران للظلم والعبودية ! » ، ثم تذهب إلى أن الايمان بمعطيات النصوص القرآنية والبناء عليها ثقافيا ، هو إهدار ومناقضة لحق « الحرية » عند الانسان ، وتقرر : « يصح القول في المنظور الاتباعي ، بأن الثقافة العربية ، مؤسسة على الشرع لا على الحرية » ويؤسفنا أن نقول : إننا لا نستطيع جوابا محددا على هذا الطرح المغلوط لمفاهيم جوهرية في الاسلام ، وذلك ـ ببساطة ـ لأن الباحث لم يطرح لنا أي مفهوم ، يصلح للجدل والمحاورة ، وفق منهج علمي واضح ، ولتوضيح الأمر : فالباحث قدم رؤية تناقضية لمصطلحي « الشرع » و« الحرية » ، وافترض التناقض بينهما ، وأبسط الزام له هنا ، أن يحدد للقاريء ، ما هو مفهومه « للشرع » ، وما هو مفهومه « للحرية » ، بيد أنه قد أهدر هذا الشرط العلمي والمنهجي عندما قدَّم في بحثه أنه تعمد الاهمال ، لضبط وتحديد « ما هية المفهومات والمعاني » .

وقد سبق لنا ـ في غير هذا المقام ـ أن نبهنا إلى خطورة التلاعب بالمصطلحات في أطروحات المعاصرين ، الخائضة في التراث ، وانعدام الضبط فيها ، وما يشكله ذلك من فوضى بالغة ، تعكس اضطراباتها على ذهن القاريء ووعيه ، بل هي ـ بلا ريب ـ إحدى السبل الجديدة ، للدس الهدام والتخريبي في تراثنا الاسلامي .

ويمكننا أن نبرهن على ذلك ـ هنا ـ من خلال استكشافنا لاستخدامات الباحث لمصطلح « الحرية » ، وذلك أن وجدناه يصف الحركات « الالحادية » في التاريخ الاسلامي ، ودعوتها إلى إزالة « الدين » و التدين » بأنها حركات « تحررية » وانها تضع لنا « أسس الحرية » ، فيعلق ـ مثلا ـ على بعض المواقف والمقولات « لابن الريوندي » و لرازي » قائلا : « هكذا يقدم الرازي وابن الريوندي ،أساسا عقليا جديدا للحركات الثورية التحررية ؟! ، ولكل حركة تحررية على صعيد النظر والعمل ، كان فكرهما تأسيسا نظريا للحرية ؟! ، ولهذا كان تمهيدا لتأسيسها تأسيسا عمليا في الثورة »

ففي هذا النص جاءت « الحرية » لدى الباحث ، مرادفا « للالحاد » ، ومن ثم فنحن في غنى عن مناقشته عندما يطرح « الايمان » و « العقيدة الاسلامية » ، كنقيض للالحاد ، أو « الحرية » كما يفهمها !

وتمضي الدراسة على هذا الصعيد ، محاولة إبراز معالم الالحاد ، في جرأة ظاهرة ، وتقول : « يمكن القول بأنه ليس هناك إله خارج الذات الانسانية ؟! فالانسان هو إله الانسان ، كما يعبر « فويرباخ » ومثل هذا الهدم المكشوف ، قد كان يمكننا السكوت عنه ، كقناعة ذاتية لباحث ، يبقى شرها دفين نفسه ، إلا أن الأمر يتعدى الذاتية عندما يقدم هذا التخريب للعالم أجمع ، بما فيه العالم الاسلامي على أنه «الفكر الاسلامي الثائر والمستنير» وكذلك ، يتعدى الأمر الذاتية حين يقول الباحث في وضوح : « إننا حين نحاول نحن العرب في القرن العشرين ، أن ندرس تراثنا الماضي ، فإن ما يجذبنا فيه ، هو بالضبط النتاج المرتبط بمنحى التحول ، وهو النتاج الذي رفضه أسلافنا في الماضي ، بشكل أو بآخر ، وما يزال حتى اليوم ، خارج بنية المجتمع العربي الأساسية »

أي أن دراسته للتراث ، إنما تهدف إلى بعث الفكر الالحادي فيه ، والذي لفظته الأمة من قديم ، والعمل على جذب الذهن العربي المعاصر إليه ، أي أنها تهدف إلى تخريب التراث بأشياء من داخله ، هكذا يهدف الباحث ، الذي دعا منذ عهد قريب ، لمناقشة « أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي » ؟!

وتمضي الدراسة في افتئاتها على الاسلام ، فتقرر أنه لم يقدم للمرأة أي جديد يؤثر ، وكل ما فعله أنه قنن نظرة الجاهلية لها ، أو كما يقول بنصه : « لم يغير الاسلام طبيعة النظرة الى المرأة ، كما كانت في الجاهلية ، أو طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة ، واكتفى بأن نظم هذه العلاقة !! ، فوضع لها قانونا ، وجعلها تتم وفقا لطقوس معينة ؟! »

ونحن لا ندري بالضبط كيف ارتضى الاسلام وضعية الزواج في الجاهلية ، سواء من ناحية الاباحية العددية المطلقة ، أم في جانب حقوق المرأة فيه ـ على ما فصلته مباحث علم الفقه ؟ ولا ندري ، ما هي الطقوس التي وضعها الاسلام لمسألة « وأد البنات ، وكيف « قنن » الاسلام حرمان المرأة من الميراث ، بل كيف ارتضى جعلها هي نفسها مما يورث ؟! وغير ذلك من المهانات التي رفعها الله عن المرأة ، يوم أكرمها بالاسلام ، مما حدا بالباحثين أن يفردوا البحوث الكاملة ، للمقارنة بين حاليها في الجاهلية والاسلام .

ولم يسلم كتاب الله العظيم ، من هذا التجريح الموتور ، فتعرضت الدراسة لما أسمته « الحب في الاسلام » لتخرج بأعجب المفاهيم ، وأجرأ الطعون ، مما لم يستطعه الكثيرون من أعداء الاسلام الخارجيين أنفسهم فتهرف الدراسة بقولها : « تجمع الآيات القرآنية بألفاظها ودلالاتها ، على تصوير الحب تصويرا جنسيا » ، ولم يكلف نفسه ذكر آية واحدة ، أو تحديد لفظ واحد ، أو توضيح دلالة واحدة !!

ثم تغرق الدراسة في الافك والجرأة بغير حياء حين تقول : « الحب في القرآن قرار أو علاقة ، يقررها

الرجل ، وعلى المرأة أن تخضع ، فليست الغاية الحب ، بل التيه الجنسي ؟! » وهكذا وجدنا من أسمته دوائر الاستشراق « بالمفكر الاسلامي الثائر المستنير » ؟! وجدناه ـ بإشراف وتوجيه قسيس مسيحي !! ينسب إلى القرآن ، إنه كتاب يدعو إلى « التيه الجنسي »؟! تعالى الله وكتابه عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، ذلك الكتاب المجيد ، الذي نص في محكم بيانه **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** (آية ٢١/ الروم) ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية الكريمة ، في موضوعها ، لكفته ، شاهد عدل ، ونبراس هدى ، « لقوم يتفكرون » .

ويطول بنا المقام لو ذهبنا نستقصي ما تبثه هذه الدراسة من سموم وأباطيل ، في تراث الاسلام ، وصلب مقدساته ، وحسبنا ما قدمنا من نماذج ، بيد أننا لا نفارق هذا العرض ، دون أن نعرض لرؤية صاحب هذه الدراسة ، لمفهوم « الحداثة » ، لما له من دلالة هامة في تحديد أبعاد « هذه الدراسات المشبوهة » ، وهو يقرر في القسم الثالث من دراسته ، بأن « الحداثة » ـ من زاوية تصوره الأدبي ـ « ظاهرة تتمثل في تجاوز القديم العربي ، وتصهره في قديم أشمل : يوناني ـ مسيحي ـ كوني ؟!

وليس من ريب في أن القديم العربي ، هو المحور « العربي ـ الاسلامي » ، وقد انتهت الدراسة إلى طرح تصور « الحداثة » في تجاوز المحور « العربي ـ الاسلامي » إلى المحور « اليوناني ـ المسيحي »؟!

ترى ، هل خرجت هذه الدراسة ، عن المنهج الذي خطته محافل التبشير الحديثة ، والتي رعت هذه الدراسة ، ذلك المنهج الذي يهدف إلى « هدم الفكرة الدينية الاسلامية ، برسول من داخلها » ، أو بتساؤل أوضح : هل ثمة من شك في أن هذه الدراسة ، هي إحدى التطبيقات العملية الجديدة ، لهذا المنهج ؟!

على أننا نؤثر ـ في ختام مقالنا ـ أن نسجل هذا الجواب ، بكلام صاحب الدراسة نفسه ، وبما خطه قلمه ، فها هو ذا يحدد أهدافه قائلا : « وإذا كان التغيير يفترض هدما للبنية القديمة التقليدية !! ، فإن هذا الهدم ، لا يجوز أن يكون بآلة من خارج التراث العربي ، وإنما يجب أن يكون بآلة من داخله ، إن هدم الأصل ، يجب أن يمارس بالأصل ذاته ؟!! »

يحق لنا أن نسأل : إلى أي مدى ستظل هذه التيارات المشبوهة ، تعبث بمقدسات الأمة ، وتراثها ، وقضاياها المصيرية ، وعقول أبنائها كذلك ، في ظل رعاية من صمت آثم ، أو حتى كلمات العتب ، الحيية الخجلى ؟

دور الإعلامي المسلم

ينبغي على رجل الاعلام العربي المسلم أن يفصل دائما بين الأوهام والأمنيات وبين حقائق الأشياء والآمال ... فلا يجعل الوهم واقعا ولا الأمنيات الطيبة أخبارا ... بل يجعل المساحة بين الخيالات والأمنيات والحقائق والأرقام ثابتة وواضحة ..

كما ينبغي على رجل الاعلام المسلم أن يفرق بين الواقع العربي المعاصر و قدرات الانسان العربي المسلم ... فالانسان العربي المسلم لديه من القدرات والملكات ما يذهل العالم لو اتيحت له الفرصة المناسبة ، وذلك بأن تستحث طاقاته وتكون كما أراد الاسلام لها أن تكون ليتمكن من أداء دوره معتمدا بعد ذلك على العلم الحديث ... فالعلم الحديث ليس ابن الحضارة الغربية وحدها لكي نتردد في احتضانه وتنشئته وتكييفه ولكنه تمخض أبدى متراكم من الخبرة البشرية وحضارات شتى عديدة أسهمت فيها معظم شعوب الأرض الحية ..

وكان لحضارة الاسلام النصيب الأوفر في وضع دعائمه وتصحيح مناهجه وطرح الكثير من معطياته ... ولقد طرح القرآن الكريم حشدا من الحقائق في ميادين شتى منها الفلك والطبيعة والجغرافية والطب ..

فعلى رجل الاعلام العربي المسلم أن يدعو إلى بدء عصر تكنولوجيا اسلامية ، وذلك بالاعتماد على العقل المسلم من أجل أن يكون أكثر قدرة على استيعاب المتغيرات وحتى يأخذ بتلابيب الطاقة والقوانين العلمية التي تحيل الطاقة الى حركة وأمل وفعل وتطبيق وإبداع ... فقد أصبحنا في حاجة إلى عملية تنقية ثقافية ، وأصبحنا أحوج من أي وقت مضى إلى

في التنمية

للاستاذ/ أحمد جودة المزغوني

الذين يحملون عقل المهندس المسلم ومبضع الطبيب المسلم ونحن نعترف بأن ما أصاب العقل العربي المسلم من صدوع وكسور وتقطيع فصده عن المضي إلى غايته وحال بينه وبين أداء رسالته نحو مواكبة التطور
لا يمكن أن يعالج بكتاب أو مقال أو محاضرة أو بحث ، بل بحصر القوى الاعلامية بما فيها من طاقات بشرية وأجهزة اعلامية ومعدات ومؤسسات وتوجيهها لتحقيق اهداف أمتنا المسلمة حتى نستعيد دورنا الحضاري في كافة المجالات العلمية .

فالحضارة الاسلامية كانت سباقة في إغناء المعرفة الانسانية في كافة علومها فقد أسس علم الجبر على يد محمد بن موسى الخوارزمي وهو الذي تعمق في هذا العلم مدى أبعد من الاغريق ، وكتابه « الجبر والمقابلة » قدم للعالم تعبيرا خاصا عن هذا الفرع من الرياضيات ويعد أفضل كتاب في مادة الجبر حتى الأزمنة الحديثة ..

وأدخل البتانى [توفى عام ٩٢٩م] النسبة في علم المثلثات كما هي معروفة اليوم وتبعه عالم عربي لامع في الرياضيات هو أبو الوفا [توفى ٩٩٧م] الذي اكتشف معادلة لجمع الزوايا وهو الذي اكتشف أيضا الخط الذي يقطع القوس ..

وبرز في الفيزياء الحسن بن الهيثم وهو الذي عارض إقليدس وبطليموس في زعمهما أن العين ترسل إشعاعات إلى الشيء المنظور تمكن من رؤيته ، وأصر على أن عملية الرؤية تحدث عندما يرسل المنظور إشعاعات تدخل العين ، وقد وجد لدى تفحصه قدرة القمر على الاشعاع ، ولإثبات فرضياته قام بتجارب أدت إلى اختراع آلة التصوير ، وتشير الأبحاث الحديثة في مخطوطاته إلى أنه كان مدركا تمام الادراك دور الرياضيات في نظريته في البصريات ، وقد خلص الباحثون إلى اعتباره - بكل جدارة - مؤسس علم الفيزياء بالمعنى الحديث للكلمة .

وبرز في الكيمياء جابر بن حيان والذي كان له فضل إجراء التجارب على المواد العضوية الحيوانية والنباتية .. وسجل ملاحظاته وتجاربه التي أدت إلى تحضير حامض الأزوت لأول مرة في التاريخ ، وقدم وصفا كاملا لعملية تحضير الفولاذ وتصفية المعادن الأخرى وعملية صبغ الأقمشة ودباغة الجلود والدهان لصنع الملابس الواقية من الماء وكيفية حماية الحديد من الصدأ ، كما عرف صناعة حامض الخل إلى جانب وصفه بدقة بعض العمليات الكيماوية كالتبلور والانحلال والتكرير ..

وكان الرازي رغم شهرته في ميداني الطب والفلسفة ذا قدم راسخة في مجال الكيمياء إلا أن اهتمامه تركز على الكيمياء المختبرية أكثر من الكيمياء العامة وفرضياتها .

وفي علم النبات التقينا بعالم الطبيعة القرطبي أبو جعفر الغافقي .

وفي الطب اقتبس الأطباء عن الأغريق النظريات الطبية التي تشكل قاعدة ثابتة ومرضية لعلاج المرضى ، إلا أن الأطباء المسلمين ركزوا على الأمور العملية بدلا من النظرية في العلاج الطبي ، وقاموا بكثير من الاكتشافات الطبية وأحرزوا تقدما كبيرا في فن الاستطباب ، وكان من أشهر هؤلاء الزهراوي والرازي وعلي ابن عيسى وعمار الموصلي .

أما في مجال العلوم التطبيقية فيكفي ان نشير الى دور الحضارة الاسلامية في تطوير استخدامات الري والميكانيك وتحسين صناعة الورق وتكرير السكر واختراع البارود وغيرها الكثير ..

وليس هناك ثمة داع لاستعراض أو حتى الاشارة الى اسهامات المسلمين الكبيرة في حقول العلوم الانسانية كالتاريخ والاقتصاد والقانون والسياسة والتربية ومناهج البحث والاجتماع والنظم الادارية والآداب والفنون وتأثيرها في مجرى الحضارات البشرية وبخاصة الحضارة الغربية ، فهي أوضح للعيان وأشد حضورا من أن يشار إليها أو يدلل عليها ...

فعلى رجل الاعلام العربي أن يجعل المواطن العادي يحس بمشكلة التنمية داخل وطننا وأن يؤكد على اهمية اشتراك رأس المال مع الطاقة البشرية مع الثروة الطبيعية ، وأن يدافع عن خطة عربية شاملة للتنمية وأن يدعو إلى ذلك ، ثم عليه ان يشرحها ويفسرها يوم تخرج إلى حيز التنفيذ .

فالاعلام الناجح هو الذي يجعل المواطن العادي يحس بدوره في تنمية أمته ويشارك في تطويرها ، ويحثه على التسارع الحضاري عملا وإنجازا وإبداعا مسئولا بعيدا عن الكسل والاتكال ، وذلك في ضوء ديننا الاسلامي الحنيف الذي يؤكد موقفه من العمل الحضاري من خلال رؤية متوازنة تضم جناحيها على كل ما هو روحي أخلاقي ومادي جسدي ، ونحن نقرأ كتاب الله وسنة رسوله بإزاء تأكيدات عديدة من آيات وأحاديث ، تضع الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم وتدفعها الى ان تبذل جهدها من أجل التنقيب في أعماق التربة ،

ونتلمس ذلك بوضوح من خلال آيات وأحاديث نبوية لا حصر لها .

ولا يختصر دور رجل الاعلام العربي المسلم على نشر الأخبار والمعلومات الخاصة بخطط التنمية وأهدافها بين جماهير وطننا العربي بل يجب ان يعمل جاهدا على تأييد المواطنين لهذه الخطط حتى يمكن تحقيقها وبذلك يمكن عن طريق الحملات الاعلامية عن الخطط الموضوعة ان تنشط بعض العلاقات النائمة بين الأجزاء المختلفة لنظام ما ، الأمر الذي يؤدي إلى رفع الانتاج داخل هذا النظام ..

وإذا ما كان الفرق بين تطلعات الجماهير وتوقعاتها من خطط التنمية شاسعا صار على رجل الاعلام المسلم أن يقلل من تطلعات الجماهير ليصل بها إلى واقعية تساعد على الوصول إلى الاهداف المتوقعة من خطط التنمية ، أما إذا قام رجل الاعلام ـرفع التطلعات أكثر من اللازم ا ـما يسمى عملية التسخين الاعلامي للرأي العام ، وفيه تظهر وسائل الاعلام الجانب الايجابي فقط لخطط التنمية دون توضيح للجوانب السلبية على الرأي العام ، الأمر الذي يشبع رغبات وهمية نفسية عند المواطنين اشباعا مؤقتا إلى أن يصدم الرأي العام بالجانب السلبي لخطط التنمية ..

وبالرغم من أهمية دور رجل الاعلام في عملية التنمية إلا أنه في حد ذاته لا يكفي لحدوث تطور المجتمع بل لابد من وجود عناصر أخرى لكي نسير في عملية التنمية نذكر منها :

● بناء جيل جديد بواسطة التدريب الملائم .
● تطوير الاقتصاد الزراعي ورفع انتاجيته .
● بناء شبكة مواصلات حديثة وتأمين ما يلزم من الطاقة .
● تطوير وتشجيع التجارة الخارجية .
● تطوير وخلق احساس وطني عند الجماهير لانشاء الوعي لديهم بضرورة التكامل الاجتماعي والعمل المشترك .

وعلى رجل الاعلام العربي المسلم أن يعمل جاهدا في أن يتناول هذه العناصر الضرورية للتنمية كمحتوى له حتى تساعده على دفع عملية التنمية من أجل تقوية عزيمة المواطن العربي وتنمية شعوره الوطني لكي يتمكن من حل مشاكله ..

وأخيرا فعلى رجل الاعلام العربي المسلم العمل بتلك التوجيهات من أجل إعداد مواطنين يقومون بدورهم في منطقة عربية واحدة تعيش بين دول اخرى ، فعملية التنمية تتطلب مواطنين ذوي قدرة على تحويل تفكيرهم من الأحداث المحلية الى الوطنية والدولية .

الإسلام

ربما يثير هذا العنوان : « الاسلام .. وقضيـــة الشكـــل والمضمـــون »..

إشكالية فكرية لا تلبث أن تزول ، لأن مصطلـــح « الشكـــل والمضمـــون » مصطلح أدبي نقدي يعالج به الفكر الفني الناقد بعض المحاولات الغاشمة التي تريد أن تعزل ـ في العمل الفني ـ بين ما هو شكل محض ، وما هو مضمون محض ، مع بداهة أن مجرد تصور شكل خاو من المضمون ، أو مضمون عار من الشكل ، تصور باطل تماما ، على الأقل في العمل الفني الذي يتدامج فيه الشكل والمضمون تدامجا عضويا يبطل معه أي تصور لوجود أحدهما في غياب الآخر .

وفي يقيني أن قضية التدامـــج العضوي بين الشكل والمضمون في الاسلام قضية أولية ، ربما بتعديل طفيف ينقلها من التوجه إلى قضايا الابداع في الفن إلى قضايا السلوك العقيدي في المسلم .

فالمسلم الذي يمارس الإسلام شكلا بلا مضمون مسلم مـرفوض منـذ البداية ، فلا اللحى المرسلة ، ولا المسابح الطويلة ، ولا تمتمات الشفاه بلا ملال ، ولا العكوف على لـزوم المسجد ، ولا استنبات زبيبة الصلاة في الوجه ، ولا التشنج الزاعق كلما عرضت آية .. يمكن أن تكون دلالة وجود إيماني إذا كانت لا تترجم موقفا سلوكيا شاملا يتعامل به هؤلاء مع الواقع ، ومع الانسان ، ومع الكون ، ومع الله .. وربما كان حصاد الوجود

وقضيَّة الشكل والمضمُون

للدكتور/ محمد أحمد العزب

التاريخي لهؤلاء الرجال الجوف أَوْبَلَ على مسار الحركة العقيدية من حصاد الوجود التاريخي للملاحدة والرافضة والمارقة غير المقنعين .. لأن لدى الجماهير المسلمة حصانة طبيعية ضد هؤلاء، وانخداعا ساذجا بمظهرية أولئك .. ومن هنا تصبح خطورة الوجود المسلم الخادع أفدح بكثير لأن الذين يتلقون عنه يخيل إليهم أنهم يتلقون عن منهج إسلامي صحيح ، ومتى فشت هذه الظاهرة وتمددت بجذورها الوبيلة في التربة التاريخية المسلمة ، فقد يمكن أن تشكل واحدا من محاور الاقتلاع العقيدي ، أو تزييف ما يمارس الجيل المسلم على الأقل من إيمان ..!!!

ولو أننا أحصينا أحجام الاحباطات التي يفرزها سلوك هؤلاء الجاهلين بالدين الذين يبالغون في التزام الشكل ويهدرون مبالغين كذلك قيمة المضمون ، لعرفنا إلى أي مدى تكون فداحة هذا النمط السلوكي ، وإلى أي مدى كذلك تكون تأثيراتهم الباهظة في حركة المد الاسلامي الذي يحسرونه عن الفعل الحقيقي بهذه الانفصامية السوداء !!

ولنتصور تاجرا .. أو طبيبا .. أو رائدا دينيا .. يلتزم حرفية الشكل الديني ويبالغ في احتذاء النمط الخارجي الذي يومىء إلى حتمية التزامه العقيدي .. ولنتصور أننا تعاملنا معه .. فوجدناه تاجرا غاشا ، أو طبيبا وحشا ، أو رجل دين بلا دين .. ماذا يمكن أن يكون رد الفعل

الذي يصيبنا من سلوكات هؤلاء ؟ أوشك أن أؤكد أن الشكل هنا يستحيل ليس إلى لعنة ذاتية ، فتلك جريمة محتملة ، وإنما إلى اتهام ظالم يتوجه بأصابع الادانة إلى الدين عند كثير ممن لا يتعمقون النظر أو يصححون الحكم .. وهذا هو المخيف !!

والمذهل أننا نعايش هذه الظاهرة الوبيلة ولا نجسر على فضحها ، أو الإيماء الرافض إليها ، ربما لأننا أقصر قامة من أن نجهر بقضية الحق الذي هو جوهر الايمان ، وربما لأن فينا نحن ملامح من هذه الظاهرة الوبيلة ، وبلا شعور نمارس لونا من خداع الذات أو تلهيتها عن جنوحها السلوكي .. ولن يغفر التاريخ لنا هذه الوضعية الدامية ، لأن المدخل إلى كل هزائم التاريخ يبدأ من هنا ، من نقطة أن نرى المأساة ونغني ، أو من نقطة أن نراها ونحجب رؤيتنا بأيدينا حتى نهرب من بطولة الشهادة .. أو من نقطة أن نرى ونمتلك الوعي بما نرى ، ولكننا نحاصر هذا الوعي الفاهم بأسوار غليظة غليظة من اللامبالاة السيئة .. وفي كل وضعية من هذه الوضعيات هوة نحفر قراراتها بأيدينا ، ونجهض في ظلامها التاريخي كل ما نحتاز من انتصارات !!

نحن - المسلمين - نصاب بالاحباط حين نرسم لهؤلاء صورة عقيدية ملتزمة ، ثم نفاجأ باهتراء هذه الصورة عند أول ممارسة حياتية تصل بيننا وبينهم . وتكشف أمامنا عن عالم دميم يسكنه هؤلاء المتاجرون بالشكل ..

أما غير المسلمين الذين يتوقون إلى الاسلام كحركة عقيدية تحتوي الآن والما بعد وتمارس الدين والدنيا ، وتزاوج بين الكلمة والفعل ، وتوحد الجوهر والاطار وتتعامل مع الواقع اليومي كأنها تقرأ من كتاب الله ، ومع كتاب الله كأنها تلمس به مفردات الأشياء .. فإن إحباطهم يوشك أن يكون أفدح ، إذا ماصادفوا هذه النماذج الرديئة التي تزحم الهواء بالكلام ، وتعجز أن تعطي حتى ذرة من الفعل الوسيم .. لأن غير المسلمين الذين يتوقون إلى الاسلام يفرون إليه من جحيم واقع غليظ ، يدوس على كثير من قيم الحق والخير والجمال ، ويحاصر إنسانية إنسانه في واقع مادي لا يتنفس هواء القيم ، ولا يتيح لهذا الواقع أن يكون أعلى من ذاته حتى بقياس ضئيل .. فإذا صادفوا هنا في هذه النوعية مثل هذا الانحدار السلوكي الذي يشموا منه هناك ، أصيبوا تماما بمحنة الاحباط وتمزق الآمال ..!!

إن غزو الاسلام للعالم كان بإهداء هذا العالم نوعية من الرجال والنساء ، جسدت مضامينه بلا خطابة وبلا وضعيات مظهرية خالبة ، لأن هذه النوعية كانت بؤر إشعاع حقيقي بما تمارس من فعل تواصلت فيه دورات المثال والواقع ، فكان جذبها الخارق أقوى من أن تكفه معاندة غاشمة ، أو يكبحه شرود عرقي مريض ..

ومن هنا نبع إيمانهم بهذه الحكمة الجليلة :

« **فعل رجل في ألف رجل ، أجدى من قول ألف رجل في رجل** » وكان حرصهم الحريص على أن يكونوا هم أول ضحايا نداءاتهم إذا حزب الأمر ، وآخر حاصدي ثمراتها إذا أفاء عليهم التاريخ .. كان جريحهم يؤثر صاحبه بحسوة من الماء وهو صديان .. وكان جائعهم يقدم زاده للوافدين وهو عاصب بطنه بحجر .. وكان قائدهم يعانق الصدمة الأولى ويرفض أن يظل على سرير القرار .. وكانوا كما قيل فيهم بحق : (رهبان بالليل . وفرسان بالنهار) .

بكل ما يحمل هذا القول من عناق القيمة والفعل في جدلية تاريخية رائعة ..

هل هذه دعوة إلى تفريغ المسلم المعاصر من مضمونه المادي ، وإحالته إلى رباني جديد ؟ رباني نعم .. ولكن تفريغه من مضمونه المادي غير وارد على الاطلاق ، فليس هناك دين ـ غير الاسلام ـ احتفى بالمادة احتفاءه بها ، أو دفع أتباعه إلى الحلول في التاريخ كما فعل ، ولكن دفعه واحتفاءه جميعا كانا يتمان من خلال شمولية تضع المثال في قلب الواقع ، والنموذج في تلافيف التطبيق ، والفعل في واجهة القول ، لأن انشطار المعادلة إلى شكل متحوب ، ومضمون مجرد ، يحيل المعادلة ذاتها في النهاية إلى صفر كبير ، والاسلام إيجاب ومعادلة صوابية لابد أن تنجب نتيجة بحجم عطائها العريض .. والعجيب أن القرآن الكريم يقرن في نداءاته دائما بين الايمان والعمل ، ولكننا نؤثر الأخذ بجانب الايمان غير المكلف ، ونتعامي عن حقيقة أن مثل هذا الايمان مرفوض ، لأن الايمان كما حدده حامل لواء هذه الدعوة هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ..

هل هي اذن دعوة إلى عصمة غير مستطاعة ؟؟؟

أبدا ، فنحن أول من يؤمن بحتمية الخطأ الآدمي ، وبحتمية القصور الآدمي كذلك ، ولكننا نؤمن أيضا بأن الخطأ الآدمي ليس القاعدة ، وبأن القصور الآدمي لا ينبغي أن يظل هو القاعدة ، ففي وسع البشر متى شارفوا إيمانهم العقيدي أن يوائموا بين الشكل والمضمون من جهة ، وأن يحققوا في ذواتهم قدر ما يستطيعونه بلا إدعاءات ، وأن يقفوا في قضية السلوك عند حد لا يجوز التنازل عنه . من ضرورة تقديم الحب على الكراهية والتآزر على الافتراس ، والمناصحة على الختل ، والمواجهة على الكذب ، والمشاركة على الأنانية ، والود على قطع الأنامل ..

وإذن فالذين يفهمون الاسلام شعارات لا سلوكا مرضى ، ينبغي أن يعالجوا من صرع التخيل الأصفر .. والذين يأخذون الاسلام شكلا لا مضمونا ، مرضى ينبغي أن يعالجوا من سوداوية الانفصام الرهيب .. والذين يركضون إلى غد إسلامي يتعانق في ساحاته الشعار والسلوك ، والمضمون والشكل ، والمحتوي والاطار .. هم وحدهم أمل هذه الدعوة ، وهم فرسانها القادمون من عصور الغياب على صهوات فهم حقيقي نفرش له الدروب بالحب والدماء !!..

مائدة القارئ

عام جديد

قال تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) .

الآية/ ٥ من سورة يونس

كفانا كلاما

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوّال .

وصيـــة

يقول عمرو بن عقبة : لما بلغت خمس عشرة سنة قال لي أبي : تقطعت عنك شرائع الصبا ، فالزم الحياء تكن من أهله ، ولا تزايله (أي تفارقه) فتبين منه ، ولا يغرنك من اغتر بالله منك ، فمدحك بما تعلم خلافه من نفسك ، فإنه من قال فيك من الخير ما لا يعلم إذا رضى ، قال فيك من الشر مثله إذا سخط .
فاستأنس بالوحدة من جليس السوء تسلم من غب عواقبهم .

طرفة

حضر أعرابي مائدة الحجاج في يوم عيد ، فلما أخذ الناس في الأكل ، أراد الحجاج أن يتلاطف مع ذلك الأعرابي ، فقال : من أكل من هذا شيئا ضربت عنقه ، فامتنع الناس كلهم عن الأكل ، واعترتهم الدهشة الا الأعرابي فإنه أخذ ينظر إلى الحجاج مرة ، وينظر إلى الحلوى مرة أخرى ، ثم قال : يا أمير أوصيك بأولادي خيرا ، وشرع يأكل سريعا ، فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

قدرة الله

ان الدماغ البشري يفوق أي عقل الكتروني بالاف المرات ، ولا يستطيع أحد معرفة أسراره إلا الله سبحانه وتعالى ، فسبحان الخالق العظيم .

حكمة

إن تكن طاعة الحق فضيلة ، فعصيان الباطل فضيلة أكبر .

يبكي من الفرح

مما روته عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتى بيت أبي بكر - رضي الله عنه - في وقت لم يكن من المعتاد أن يأتي فيه . وبعد أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لأبي بكر : أخرج عني من عندك .

فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فداك أبي وأمي .

فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة .

تقول عائشة : فقال أبوبكر : الصحبة يا رسول الله .

قال : الصحبة .

قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبابكر يبكي يومئذ .

العمل الصالح

قال الشاعر يحذرنا من الارتكان إلى متع الحياة ويدعونا إلى العمل الصالح :

فاصبر على مر ما تلقى وكن حذرا
من غدرها فهي ذات الختر والغيل
واشدد بحبل التقى فيها يديك فما
يجدي بها المرء إلا صالح العمل
واحرص على النفس واجهد في حراستها
ولا تدعها بها ترعى مع الهمل

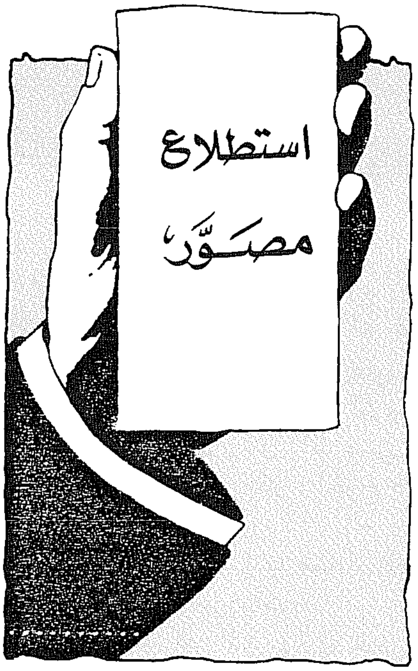

تركيا الحاضر

أجراه/ فهمي الامام

● كانت مركز الخلافة الاسلامية لعدة قرون .
وكان التنافس بين الخلفاء في بناء المساجد على أشده ، وما تزال مساجدها القديمة ومآذنها الشامخة دليل مجد وعظمة .

● حمل أهلها لواء الاسلام ففتحوا البلاد واتسعت دائرة الخلافة الاسلامية .
فماذا حل بها حتى صارت دولة لا دينية ؟

● نال منها الأعداء من الداخل والخارج .. حتى هدموا البنيان .. ولكن بقيت قواعده .. وعلى هذه القواعد قام بنيان جديد .

● تآمروا على الخلافة فأجهزوا على « الرجل المريض » ـ كما كانوا يقولون ـ وبدلا من أن يداووا علله قتلوه ، واقتسموا التركة فيما بينهم .

● أوهمونا ان الدين رجعية والتدين تخلف ، ولكي ننهض ونتقدم فلنتحرر من عقدة الدين .

● ثم أشاعوا الفساد في كل مكان .. فما نهضنا ولا تقدمنا ولا تحررنا عندما تخلينا عن تحكيم قرآننا ، أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

● عابوا على الغابرين ظلمهم وفسادهم ، فلما حكموا هم وعايشناهم صرنا نترحم على الظالمين السابقين وندعوا لهم بالمغفرة ، فهم بالنسبة لهم صالحون .

● واليوم إذا ما شاهدت أصحاب البلاد ، وجدت الموظف في مكتبه يحتفظ بخشبة نظيفة يؤدي عليها صلاته في موعدها .

● ورأيت ظاهرة الحجاب منتشرة بين الفتيات .

● ورأيت المساجد تغص بالمصلين ، فالمسجد في حي من أحياء استانبول ضاق بالمصلين في صلاة الظهر ، وكان معظمهم من الشباب ، ٩٠٪ من الشباب .

● إنك واجد في بلاد الأتراك حضورا إسلاميا رائعا .. ممثلا في المساجد التي تحكي قصة عهود مضت وفي الشباب الذي يمثل الصحوة الاسلامية المباركة .

● وإذا كانت هناك بعض المظاهر السلبية ؟ فقل لي : أي مجتمع يخلو منها ؟

● وطلائع اليوم تبشر بالغد المأمول . في عودة المسلمين صفا واحدا ، وبنيانا واحدا ، إذا اشتكى بعضه اشتكى كله .

الجوامع التركية

تحكي قصة الخالدين

لم يدّع واحد ممن أشادوا هذه الجوامع الصلاح والتقوى ، بل اعترفوا بذنوبهم ، وسألوا الله المغفرة ، واهتموا بشيئين هامين : **أولهما** : الجهاد في سبيل الله ، ففتحت جيوشهم البلدان شرقا وغربا ، ورفعوا راية الاسلام على كل مكان وصلوا إليه .

ثانيهما : بناء المساجد وعمارتها ، وتلك بعض مآثرهم شاهدة لهم ، حيث كان المسجد في عهدهم مدرسة المسلمين ، ودار فتواهم ، ومقر عبادتهم ، ومجلس حربهم ، ومنطلق جيوشهم .

والآن نستعرض في إيجاز بعض هذه المساجد .

فخامة المساجد التركية

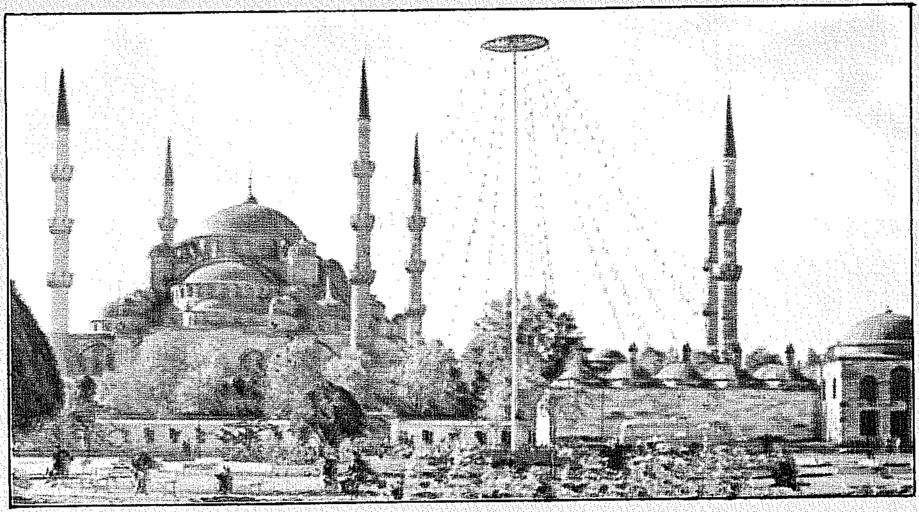

جامع السلطان احمد

بعض مساجد تركيا

مسجد السلطان احمد :

بناه المهندس محمد أغا بأمر السلطان احمد الأول عام ١٦١٦ ، وله ست منارات ، وتعود أسباب شهرته الى جمال أحجاره القرميدية الزرقاء ،

وهي إحدى أفضل القطع في بنائه ، ويطلق عليه البعض اسم « الجامع الأزرق » .

ويقع في ساحة السلطان احمد ، وهو من أجمل جوامع استانبول بسبب الفسيفساء التي تزين جدرانه ، وقبته التي يبلغ ارتفاعها ١٩٠ قدما .

وفي مسجد السلطان احمد .. التقينا بإمامه الشيخ أمر الله بن خطيب أوغلي .. وهو شاب مسلم مثقف ثقافة إسلامية طيبة ، يجيد التحدث بالعربية ، ويؤم المصلين في أوقات الصلاة الخمسة ، وعندما يقيم المؤذن الصلاة يخرج الامام من غرفة خاصة له بالمسجد متجها نحو المحراب ،

وبعد الانتهاء من الصلاة توزع « المسابح » على المصلين فيسبحون ويكبرون ويحمدون ، ثم يقرأ الشيخ بصوته الندي آيات من القرآن الكريم ، فقد تلا الشيخ أمرالله سورة البروج بعد صلاة العصر تلاوة خاشعة مؤمنة ، وبعد الفراغ من أداء الصلاة ، تجمع حول الامام عدد من الشباب المسلم من تركيا وخارجها ، أكثر من خمس جنسيات جمع بينها الاسلام كل يشكو هموم وطنه وأمته ، ويدعو الله أن يوحد جمع المسلمين ويؤلف بين قلوبهم .

مسجد عذاب كابي

مسجد بايزيد

جامع عذاب كابي :

شيد على نفقة محمد باشا كبير وزراء السلطان سليمان القانوني عام ١٥٧٧م ، ويقع عند نهاية جسر أتاتورك ، وهو مشيد فوق صف من الدكاكين ، وشكله مستطيل ومنارته منفصلة عنه ، ولكنها تتصل به بقنطرة ، وأعمال الرخام والبلاط تشكل الديكور الداخلي له .

جامع بايزيد :

شيده السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١ ـ ١٥١٢م) بن السلطان محمد الفاتح ويقع في ميدان الحرية (ميدان بايزيد سابقا) باستانبول .

وهو مبني على الطراز الكلاسيكي ، و قبته الرئيسية ترتكز على أربعة أعمدة من طراز رجل الفيل وعلى عامودين من الرخام السماقي الصلب ، ومدخل الجامع مسقوف بنصف قبة وكذلك المحراب وتوجد أربع قباب على الجوانب ، مزينة جميعها بالنقوش الجميلة ، والكتابات المخطوطة باليد ، ويضم الجامع خزانا لماء الوضوء ، منحوتا على الحجر بطريقة خاصة ، كما يشتمل على نزل للمسافرين ومطعم للحساء ومكتبة عامرة بالكتب أصبحت في الوقت الحاضر مكتبة بايزيد العامة ، بينما أصبحت مدرسته الدينية مكتبة للبلدية .

مسجد الفاتح

أيا صوفيا :

كانت كنيسة شيدت في سنة ٣٢٦ بعد الميلاد في عهد كونستانتين الكبير امبراطور البيزنطيين ، ويقال إن مشيدها هو كونستانس بن كونستانتين الأول ، وافتتحت للعبادة سنة ٣٦٠م . وبعد أن تعرضت للحرائق والزلازل أعيد تشييدها عدة مرات ، وعندما دخل الصليبيون مدينة استانبول أحرقوها ونهبوا محتوياتها فرممها الامبراطور ميكائيل الثامن ، وأعادها إلى الوجود سنة ١٢٦١م .

وقد أطلق عليها الأتراك اسم « أيا صوفيا » بعد فتحهم استانبول سنة ١٤٥٣م . وقد صلى السلطان محمد الفاتح صلاة الجمعة فيها ، وأمر بتحويلها إلى جامع ، وبنى لها منارة خشبية في الزاوية الجنوبية مع محراب .

وبعد مدة من الزمان أزيلت المنارة الخشبية من الوجود ، وشيدت محلها منارة من القرميد ، وفي عهد السلطان بايزيد الثاني بنوا لها منارة من الحجر .

ولقد بنى السلطان محمود الأول مكتبة جميلة في الطرف الجنوبي من الفناء الداخلي وتعتبر مكتبتها المليئة بالمخطوطات النادرة من المكتبات الشهيرة عالميا ، وأقام النافورات للوضوء والشرب ، ثم أنشأ مطعما للحساء بالمجان في صحنه الخلفي .

وهناك حكايات عديدة تدور حول « أيا صوفيا » ، منها أن العلامات المطبوعة

أيا صوفيا

جامع السليمانية :

بناه المهندس « سنان بين ١٥٥٠ ـ ١٥٥٧ بأمر السلطان سليمان القانوني فوق هضبة من هضاب استانبول السبع ، وتحتوي مكتبته العامرة على كتب قيمة مخطوطة .

يقع خلف جامعة استانبول في منطقة بايزيد ، وهو ذو أربع منارات مشتملة على عشر شرفات يقال إنها بنيت للدلالة على أن السلطان سليمان القانوني هو رابع من تولى زمام السلطة بعد فتح استانبول ، وهو العاشر في تسلسل سلاطين بني عثمان .

وللجامع ١١ بوابة ، ومنبر الجامع ومحرابه تحفتان رائعتان مصنوعتان من خشب الأبنوس . وهناك بالقرب من الجامع تقع دار الافتاء ، حيث التقينا بسعادة الأستاذ/ صلاح الدين قايا مفتي استانبول ، ودار بيننا حوار ، بحضور الأستاذ/ عمر بيجر ـ عضو لجنة الفتوى ، والأستاذ/ أمر الله بن خطيب أوغلي ـ إمام وخطيب مسجد السلطان أحمد الأول .

رحب سعادة المفتي بمجلة الوعي الاسلامي ، وأشاد بدور الكويت في خدمة الاسلام والمسلمين ، وعبر عن سعادته بزيارته الكويت ، وزيارة وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية الكويتية . ثم قال : إن تركيا اليوم تشهد نشاطا إسلاميا ملحوظا ، وعودة محمودة إلى رحاب الدين الاسلامي

جامع السليمانية

يقول المفتي :

إن محبة الأتراك لدينهم الاسلامي دفعتهم إلى بناء الجوامع حيثما استوطنوا ، كما أن أصحاب الخير والاحسان منهم قد شيدوا مع الجوامع المدارس والمستشفيات ، ومصحات الأمراض العقلية ، ومطاعم الحساء ، والدكاكين لأغراض اجتماعية وإنسانية ، ومن أجل أن تكون هذه المؤسسات ، أوقافا للجوامع توفر لها ريعا كافيا لصيانتها والصرف عليها ، ولقد عني الأتراك قديما وحديثا ببناء المساجد ، فيبلغ عدد المساجد الجديدة في العام الواحد من ٦٠ إلى ٧٠ مسجدا تقام على نفقة المسلمين ، وهناك شخص واحد تبرع بثمانين مليون ليرة تركية لانشاء مسجد .

إن ولاية استانبول وحدها تضم ٤٥٠ مسجدا ، ويقال إنها كانت في الماضي تضم ألف مسجد ومع أن بعض الجوامع والمساجد قد دمرته الحروب والزلازل والنيران فإن بعضها لا يزال شامخا بقوته ومتانته رغم عوادي الزمن ، وبلوغه من ٥٠٠ إلى ٦٠٠ عام .

إن هذا الذي تراه في تركيا دليل على محبة الأتراك لدينهم الاسلامي العظيم تلك المحبة التي هي الدافع الوحيد لقيامهم بتشييد بيوت الله وصيانتها في الحاضر والماضي ..
(إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) .

في استانبول ٤٥٠ مسجدا

ففي بلادنا اليوم ٣آلاف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، في استانبول وحدها ٢٢٠ مدرسة منها ، تخرج كل عام ٨٣٠ طالبا قد أتم حفظ القرآن الكريم بأكلمه . هذا بالاضافة إلى وجود ٣٧٤ مدرسة ثانوية لتخريج الأئمة والخطباء يبلغ عدد الدارسين فيها حوالي ٣٠٠ ألف طالب وطالبة ، كما أن عندنا أعدادا من العاملين في مجال الدعوة إلى الله من خريجي كليات الالهيات ، وكما تعلم فان في تركيا ٢٧ جامعة ، تضم ٨ كليات لدراسة الدين ، ولا يفوتني أن أذكر أن هناك أعدادا هائلة من الفتيات المسلمات يقبلن على حفظ القرآن الكريم وفهمه ودراسته .

وعن دور المساجد في تركيا :

قال سيادة المفتي :ـ

إننا نعلن عن مسابقات لشغل وظيفة إمام وخطيب ، فيتقدم إلينا عدد كبير من الخريجين فنجري لهم الاختبارات العلمية ، ونختار الأفضل خلقا ودينا وعلما وثقافة ، ومن يحسن العربية وهذا شرط أساسي ، ويحفظ القرآن الكريم ، ومن يقع عليه. الاختيار ويجتاز المسابقة بنجاح يعين بوظيفة إمام وخطيب بأحد مساجد تركيا القديم منها والحديث، وهي كما رأيتها عامره بالمصلين والحمد لله ..

وهناك دروس دينية تلقى بالمساجد ، ويستقبل الامام المصلين بعد الصلاة ، ويجيب على أسئلتهم واستفساراتهم الدينية ، وإذا لزم الأمر أحال إلينا من يريد الفتوى الشرعية في أمر يحيره ، ونحن نفتيه بحكم الله في مسألته كما نفهم من ديننا الحنيف ،

وبالمسجد العديد من المصاحف ، وكتب التفسير مع شرحها بالتركية ، وكتب الحديث وشرح لها بالتركية ، وبكل مسجد مكتبة صغيرة تحوي المفيد من الكتب الاسلامية .
ونستغل فترة الصيف ـ والطلبة في إجازة من مدارسهم ـ فنعقد دورات دراسية بمساجدنا لطلاب المرحلة الابتدائية وحتى الثانوية لتعليمهم امور دينهم ، ومدارستهم كتاب ربهم والاقبال منهم عظيم والحمدلله .

اللغة العربية :

وقال الأستاذ/ صلاح الدين مفتي استانبول ، لما كانت اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم كان لابد من الاهتمام بها ، ومعرفة قواعدها ، وأسرارها . ومن هنا جاء تدريسها على المستوى الرسمي للدولة ، وعلى المستوى الخاص ، وهي الآن في تركيا على المستوى الرسمي تعامل كاللغة الانجليزية والفرنسية (فهي لغة رسمية عند الحكومة) وهناك إقبال هائل من طلبة الجامعات على تعلم اللغة العربية ، وكما تعلم فنحن نشترط في الامام أن يكون حافظا للقرآن ، مجيدا للحديث باللغة العربية .

خطبة جمعة :

قلت لفضيلة المفتي .. لقد صليت الجمعة يوم ١٩٨٦/٦/٢٠ في مسجد « أغا » وسعدت كثيرا لأن الخطبة كانت بالعربية ، حيث بدأ

الخطيب خطبته الأولى بقوله : الحمد لله حمدا دائما ، والصلاة والسلام

على رسوله » ثم حدد موضوع الخطبة بالنهي عن إيذاء المؤمنين والمؤمنات

مستشهدا بقوله تعالى : (**والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا**) .

وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وفي الخطبة الثانية : حمد الله وصلى على رسوله ، ودعا للمسلمين بالمغفرة والرحمة ، وذكر قوله تعالى (**إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**) .

وكان يشرح ما يذكره باللغة التركية وهو على المنبر حتى يفهم من لا يعرف العربية وهم كثيرون ، ومع ذلك لم تستغرق الخطبتان أكثر من خمس دقائق .

فعقب مفتي استانبول قائلا : خير الكلام ما قل ودل .

مسجد محرمة سلطان كامي

تعريف :

● تبلغ مساحتها ٧٨٠٠٠ كيلومتر مربع ، تقع ٩٧٪ منها في قارة آسيا ، و٣٪ في قارة أوروبا وهي بذلك الدولة الوحيدة في العالم التي تجمع بين أوروبا وآسيا .

● ويصل عدد سكانها الى حوالي ٥٠ مليون نسمة ، يعيش ٥٧٪ منهم في الريف التركي الجميل ، ويبلغ عدد سكان استانبول قرابة خمسة ملايين نسمة ، أما أنقرة وهي العاصمة اليوم فيبلغ عدد سكانها قرابة ثلاثة ملايين .

مناخها :

في الشمال مناخها هادىء مرتبط بالبحر الأسود ، أما قلب الاناضول فيسيطر عليه المناخ القاري ـ بارد شتاء ، حار صيفا .. وعلى سواحل البحر الأبيض جنوبا ، وبحر إيجه ، وبحر مرمرة غربا ، يكون المناخ معتدلا على مدار السنة .

الحضور الاسلامي :

: إذا كان ٩٩٪ من الشعب التركي مسلما والحمد لله ، فلم لا يذاع الأذان من الاذاعة والتلفزيون ، وأين دور البرامج الاسلامية فيهما ؟

قال سعادته : نتوقع في القريب أن يذاع الأذان من الاذاعة والتلفزيون ، ونحن نسير في طريق يوصل إلى هذا الهدف إن شاء الله ، ونحن من جهتنا نرفع الأذان عاليا في سماء تركيا كلها من فوق مساجدها الشامخة والشاهدة على عظمة الاسلام ومجده .

وتناول طرف الحديث الأستاذ/ عمر بيجر : فقال هناك بعض البرامج الدينية ، وإن كانت ضعيفة ، وتأتي في أوقات غير مناسبة ، وقد نشارك في بعض البرامج التي تتعرض لقضايا تمس الدين ، ومع هذا فإن لنا نشراتنا الخاصة ، ومطبوعاتنا الخاصة ، ولنا مجلة إسلامية شهرية تصدر عن رئاسة إدارة الشئون الدينية في أنقرة ، كما أن هناك شركات خاصة تصدر نشرات دينية ، وقال الشيخ أمر الله : نعم هناك بعض الجرائد التي تنشر سمومها وجراثيمها لإضعاف الوازع الديني لدى المسلمين ، ونحن من جانبنا نبذل كل ما في استطاعتنا لمقاومتها والرد عليها بل القضاء عليها .

وهناك بفضل الله ـ صحوة إسلامية في تركيا ، تتمثل في شباب يعمل بتعاليم الاسلام ، ويتسلح بالثقافة الاسلامية .

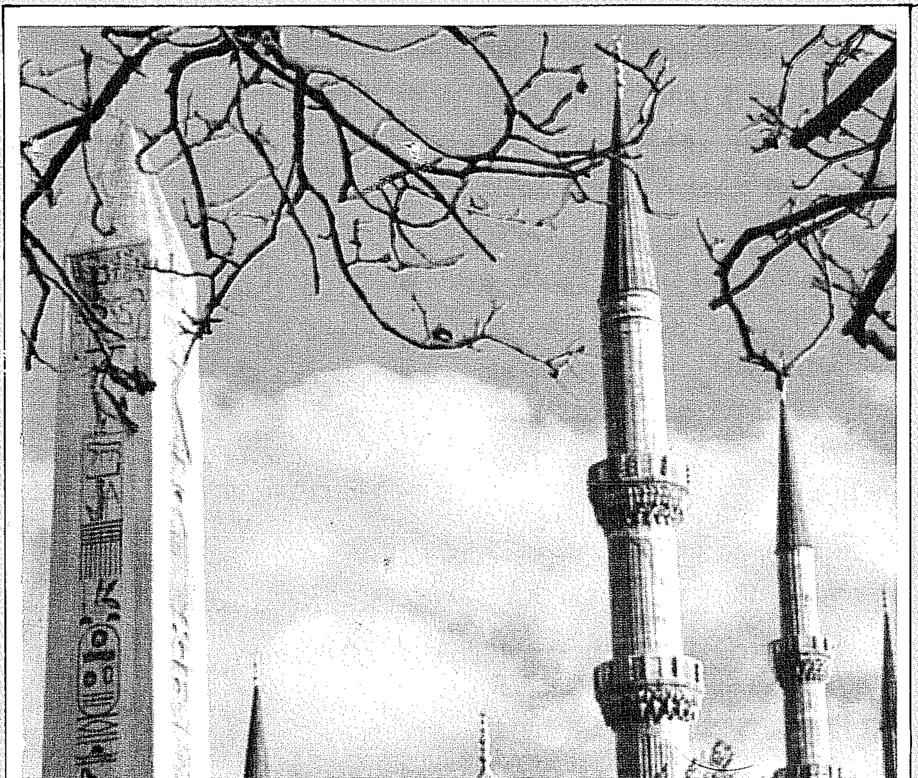

مدرسة الاسلام الأولى

دور الدين في المعاملات

وقال مفتي استانبول الأستاذ / صلاح الدين ..إن الأبواب مفتوحة أمام من يريد معرفة أحكام الدين في أي أمر يهمه ، ومن يستفتنا نفته بالحكم الاسلامي ، وهو بعد ذلك مخير ـ في نظر الدولة ـ بين أن يطبق شرع الله ، أو يأخذ بالقانون المدني ، والحكومة لا تتدخل إذا أراد المسلم أن ينفذ أحكام دينه ؛ وأغلب المسائل التي تعرض علينا متعلقة بالميراث ، والنكاح ، والطلاق ، ومسئولية الانسان عن تطبيق أحكام دينه مسئولية فردية أمام الله سبحانه .

وبالنسبة للمعاملات المالية ، فاننا نبين حكم الله في المعاملات الربوية ، وأنها حرام ، ونحذر من أكل أموال الناس بالباطل .

وهنا قال الأستاذ عمر : لقد ا فتتح في استانبول بنك فيصل الاسلامي ، وعليه إقبال شديد من المسلمين ، والمسلم الحق يتعامل معه ولا يتعامل مع البنوك الربوية .

مساهمات عربية :

يقول الأستاذ/ صلاح الدين .. مفتي استانبول : إن هناك مساهمات من بعض الدول العربية خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية ، فبعض القنصليات العربية تشرف على إعطاء دروس في اللغة العربية ، وقد أعدت كلية أصول الدين تفسيرا للقرآن الكريم باللغة التركية السهلة قامت بنشر وطبع مليون نسخة منه رابطة العالم الاسلامي بالمملكة العربية السعودية ، وأرسلته إلينا هدية ، وقمنا نحن بتوزيعه على المساجد والهيئات والتجمعات والشخصيات الاسلامية مجانا . هذا بالاضافة إلى ما نوفره من كتاب « رياض الصالحين » وشرحه باللغة التركية ، وهو موجود بوفرة إلى جانب صحيح البخاري مترجما إلى التركية من إعداد رئاسة الشئون الدينية بأنقرة .

حاضر يبشر بمستقبل باهر :

دعك من الشكليات والمظاهر ، وغص في أعماق الشعب التركي ، فإنك واجده شعبا مسلما متمسكا بدينه ، واطرح بعض الظواهر السلبية جانبا ، لتتكشف لك الحقيقة ، وتعلم أن الله سبحانه حافظ دينه ، وسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم .

وفي الختام : حيا سيادة المفتي مجلة الوعي الاسلامي ووزارة الأوقاف وأشاد بدور الكويت في خدمة الاسلام والمسلمين .. ودعا إلى بذل الجهود من أجل وحدة الصف العربي والاسلامي ، ووقف الحرب الدائرة بين العراق وإيران ، صيانة لدماء المسلمين الزكية ، ودعو نا الله من اجل أمتنا.. اللهم أمين .

دَوْرُ الثقافة الإسْلاميّة

في الدعوة الى الله

للاستاذ/عبد العزيز بغداد

عندما نثير موضوع الثقافة الاسلامية فإننا نثير في ذات الوقت قضية تستدعي منا الاعجاب والتوقير، وتلفتنا بحسرة الى زمن كنا فيه طليعة المبدعين الذين يكبون بذكاء وقصد وعناية لاتفتر وشوق لا يخبو سعيره على اسرار المعرفة نكشف اللثام عن بعضها وعما يتصل بالفكر والقلب ثم نتركه هبة للتراث الانسانى المتراكم.

إننا نقرأ في سفر الثقافة الاسلامية فصولا بليغة بعد فصول بليغة عن نواحي التقدم المعرفي الاصيل الذي مكن للمسلمين ان ينفذوا الى اعماق القلوب ليسكنوا فيها بذور الايمان عن طريق استشفاف جوهر الكلمة المعبرة والتشريع الصادق والحكمة البليغة. واذا كانت الثقافة هي عبارة عن تعديل السلوك وتقويم المعوج فإن الثقافة

الاسلامية في معناها العميق هي الاسلوب الذي نستطيع به أن نزكي النفوس ونكون العقل وان نشحذ الذهن وأن نمده بكل الطاقات التي تمنحه القدرة على القيام بالدور الناجح .

ومعنى هذا ان الثقافة الاسلامية هي عبارة عن التقاليد الموروثة الاسلامية وعن المناهج الرشيدة التي قام بها الصالحون من قبل وعبر فترات التاريخ الاسلامي الزاهر والتي نلمسها في العلوم الاسلامية كلها وفي آداب الاسلام وفي الفنون الاسلامية :

نلمسها في العلوم : لكون العلوم مقوما حضاريا . ولكونها اداة تقويم للأذهان واصلاح للعقول .

نلمسها في الآداب : لأن الآداب تعبير عن السلوك ولأن الآداب تعبير جميل عن الاهواء والميول وعن المعاني والاغراض وعن كل مايلابس الفرد ويدغدغ مشاعره ويتسلل الى اعماقه وعن كل ما يلابس الجماعة من احوال اجتماعية وغيرها .

وحقيقة الثقافة الاسلامية انها لا تكون علما فقط وليست ثقافة أبدا ولكنها بحكم ما حققت من تقويم المعوج وبحكم ما هذبت من سلوك وبحكم ما عدلت من عمل فإنها بذلك تكتسب المعنى الشمولي للثقافة وهذه هي النظرية التي رددها كثيرا العلامة عبد الرحمن بن خلدون حين اعتبر ان بين الثقافة والعلم فوارق كثيرة فالعلم بحد ذاته معرفة وليس حتما أن يكون مقوما للاذهان ولا محسنا للسلوك . فكم من عالم لاسلوك له . فالثقافة إذن غير العلم لان الثقافة تتولد عن العلم ولايلزم أن توجد معه .

واذا كان المربون معجبين حتى الآن بما كتبه « مونتاني » في كتابه «التجارب » والذي يقول فيه ليس «الغرض من التعليم ان نحشو الادمغة بكثير من المسائل ولكن الغرض من ذلك ان نهذبها ونحسن تكييفها » فان الثقافة الاسلامية هى كل ذلك وهي غير ذلك .

هي كل ذلك لانها تتصل بالعلم وترتبط به وتتولد عنه وهي غير ذلك لأنها قدمت في الماضي ومازالت تقدم حتى اليوم اشياء كثيرة تصلح ان تكون عنوانا على الحضارة الفكرية الانسانية .

اننا نعلم ان الامة العربية في فجر الاسلام لم تكن شيئا مذكورا وأن الذي رفع من مقامها وأنار السبيل امامها ووجهها التوجيه الصالح واخذ بيدها حتى ارتفعت الى عنان السماء واستطاع الناس بعد ذلك ان يرتووا من مواردها إنما كان ذلك بسبب الاسلام وبسبب المعرفة الاسلامية .

والثقافة الاسلامية لاتكون لمن يجهل القرآن ولا تتحقق لمن يتنكر للسنة ولا تثبت لمن يجهل احوال الصحابة واعمالهم وتراثهم وما كان لهم من انشطة واجتهاد ولايمكن ان تلمس عند الذين لا يدركون حقيقة القياس وحقيقة الاجتهاد ومعنى الاجماع .

ومعنى هذا كله ان التفاعل الحضاري كان الأصل فيه التلقى عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان الامر الثاني فيه هو النظر فيما يدعو اليه الشارع وكان الأمر الثالث هو الالتفات إلى الاحوال الراهنة في المجتمع الاسلامي الاول وما جاء من التشاريع لتطبيق تلك النصوص والنفاذ الى جوهرها .

ونستطيع ان نؤكد ان مصادر التشريع الاسلامية ومصادر الثقافة الاسلامية لم تنشر ظلالها في دنيا التشريع فقط بل تجاوزت ذلك الى اشياء اخرى :

فالقرآن وهو كتاب يتلى ويتعبد بتلاوته ويستمد الحكم التشريعي منه قد كان ايضا موضع دراسة وسبيل استنارة وطريقا للتوعية في كثير من مجالات

الحياة فلم يكن مقصورا على الناحية التشريعية فقط بل أفاد العلماء والادباء والبلغاء والخطباء وكان زادا للناس جميعا .

وكذلك السنة النبوية فيما هذبت من سلوك فهي ليست تشريعا فحسب فان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « جوامع الكلم »

ثم ان من عمل الصحابة واقوالهم وما اثر عنهم مايعتبر دستورا في الحياة الاجتماعية كل ذلك كان سبيل درس وتمحيص وموضع نظر دقيق وبذلك تكونت الامة الاسلامية في الجيل الاول

وبامتصاص معاني القرآن والالتحام به والنفاذ إلى لبه ارتبطت القلوب بالاسلام وفهمته فهما صحيحا ولم تعد تريد به بديلا وتكونت عقب ذلك جماعة من الرواد ارادت بفعل الانجذاب السحرى أن تتأمل القرآن الكريم وتتأمل حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وان تستمد من ذلك كله وتستخلص كثيرا من المعاني تنويرا للفكر وخدمة للدعوة الاسلامية وتخليدا لها فكانت لذلك نتائج عظيمة من ثمارها علم التفسير ، وعلم الحديث ، وعلوم الشريعة من فقه واصول .

وإلى جانب هذه العلوم جاءت علوم اخرى اعتبرت علوم الوسائل وهي التي اخذت على اهلها الاشتغال باللغة مادة وإعرابا ، وقواعد في النحو والصرف ، وأخذت عليهم ايضا الاشتغال بأسرار التعبير وافانين القول من بلاغة وبيان ومعان .

كل ذلك كان يحتاج الى جهود متواصلة كي يحقق الازدهار الفكري الذي بلغ ذروته في القرن الرابع الهجري والذى أعطى نفسا قويا للدعوة الاسلامية مازلنا نمتاح منه لغاية الآن وسيظل معينه ثرا تغترف منه الاجيال المتعاقبة كلما طغت الايديولوجيات الهدامة والدعوات الملحدة .

والى جانب الثقافة الاسلامية الخاصة هناك ما يسمى : الثقافة الاسلامية المشتركة التي أكب عليها المسلمون تحقيقا للتفاعل وبحثا عن السند

الجديد للحياة الجديدة في الاسلام ، ودفعا للدعوة إلى الله . فعندما انتقل المسلمون إلى البلاد الآهلة بالروم والفرس والأقباط وعندما استطاعوا ـ بفعل الدعوة وبفعل ما أحدثه فيهم الفكر الاسلامي وعناصر الثقافة الاسلامية ـ عندما استطاعوا بذلك أن يتوغلوا في المشاعر ، تحول الجميع إلى أمة إسلامية مهتدية بنور الدين ومتمسكة بنوره الساطع وعروته الوثقى التي هي القرآن ، ومرتبطة بالآداب العربية في إطار ما اكتسبته من ذوق رفيع وفهم ثاقب .

كل ذلك يسر أمام هؤلاء أن ينقلوا إلى العربية كثيرا من الفنون ومن الكتب اليونانية ، ثم استطاعوا بتجاربهم الخاصة أن يستنبطوا علوما وان يكتشفوا أسرارا وأن يتحولوا من الدراسات الذاتية أو الدراسات الاسلامية الخاصة إلى الدراسات القائمة على التجارب الانسانية مدفوعين بما كان يحركهم من تعاليم الاسلام التي كانت لا تفتأ توصي بارتياد الآفاق واستكناه أسرار الطبيعة .

وهكذا اتجه المسلمون إلى دراسة الحكمة والطب والصيدلة والبيطرة كما اتجهوا إلى دراسة العلوم الرياضية من حساب وجبر وهندسة ، والعلوم الطبيعية من طبيعة وكيمياء وفلك ، وإلى الجغرافية بما قاموا به من رحلات ووضعوا من خرائط . واتخذوا لهم المراصد لرصد الأجرام ومخابر لتحليل المعادن كما اكتشفوا كثيرا من الفنون ووضعوا الصناعات .

كل ذلك ضمنوه في مؤلفات جديرة بأن يبقى ذكرها مستمرا وأثرها واضحا حتى نعود إليها مسترشدين بما كان لأسلافنا من جهد في ضبط وتحقيق الحضارة الانسانية .

وكل ذلك قد تم في حظيرة الأمة الاسلامية متجاوبا مع مادعت اليه الشريعة من ضرورة استغلال البحث العقلي الانساني واستثماره إلى أبعد حد في ظل هداية الدين وروح الاسلام .

إن هذا يؤكد ـ بما لا يدع مجالا للشك ـ أن الثقافة الاسلامية ، سواء الخاصة أو المشتركة ، قد شاركت مشاركة جبارة في تحقيق الازدهار الحضاري وفي الدعوة إلى الله تعالى ،

وذلك لما كان في أحشاء هذه الثقافة من طواعية واطمئنان ومن قدرة على تدبير الأمور ، ولما كان في المسلم من معرفة وإخلاص في التبليغ الذي يلج به إلى أعماق المخاطبين فيحرك الوجدان الديني ويضرب على أوتار الايمان .

وقد شهد بذلك رجال أوروبيون وكتب التاريخ : فكم كان يهرع العلماء من اوروبا للأخذ عن علماء الأندلس المسلمين .

ولسنا نشك في أنه أثناء هذا الأخذ لابد أن يحدث نوع من الهداية والتنبيه إلى ما في الشريعة الاسلامية من صدق ومراعاة لمصلحة الانسان

الدينية والدنيوية . وبهذا الشكل نستطيع أن نثبت للثقافة الاسلامية مفهوم الشمولية التي لم تكن خاصة ولا مقصورة على العالم الاسلامي .

بل كانت شاملة للانسانية كلها . ومعنى هذا أن في عمق الثقافة الاسلامية رابطة ذهنية تفرض أن يكون الناس متحابين في الله ، ومن ثم لم تكن الثقافة الاسلامية مادة للترفيه

أو الاستهلاك ، بل إنها زاد ملهم ألهم أجيالا متعاقبة من شباب الأمة العربية فكانت موجات من الحياة الدافقة بالخير والحكمة والفضيلة والقرب من الله . ومن ثم كان العلماء والمؤلفون ينصون في مؤلفاتهم وبالضبط في مقدمات هذه المؤلفات خاصة تلك المؤلفات التي كانت تسمى موادها « وسائل » كانوا ينصون على أن هذه العلوم تطلب للكشف عن معاني القرآن الكريم أو لحماية الانسان من الخطأ في تلاوة القرآن أو للتعمق في دراسة أسرار التشريع الاسلامي .

وبهذا الفهم ، وبهذه الثقافة استطاعوا أن يملأوا الدنيا نورا ، وأن يعمروها بمعاني الاكبار والمجد والخلود .

وهنا ينبغي أن نقف وقفة افتخار واعتزاز أمام تلك المؤسسات التي استطاعت أن تحفظ على الناس دينهم ولغتهم وآدابهم . وهي الأزهر والزيتونة والقرويين . لقد كانت هذه المؤسسات ـ عبر تاريخها الطويل ـ قادرة على أن تبقي على كيان الأمة العربية والاسلامية ، وذلك بما نفثت في روحها من طاقات ، وبما لقنت من مباديء المعرفة الاسلامية والعربية وبذلك تمكن روادها من أن يكونوا وراء كثير من الانتفاضات الطامحة التي أعادت للأمة العربية والاسلامية مجدها وشرفها وحقها المسلوب .

ومن الخير للدعوة الاسلامية أن يعود لهذه المؤسسات نشاطها القديم مدعوما بأساليب متطورة وطامحة تنفض عنها غبار السنين وتزيح ما تراكم عليها خلال سنوات التخلف .

وبذلك نؤصل في الأجيال رغبة نهمة في استبطان أسرار العربية واستكشاف مضامين التشريع الاسلامي ، وبذلك أيضا ننشيء ـ مرة أخرى ـ جيلا بعد جيل ينهل العلم من أصفى منابعه فينعشه ويطفيء ظمأه ويقدره بعد ذلك على إتقان البحث والاستفادة والافادة ، وهذا مطلب مهم من مطالب الدعوة إلى الله التي سلاحها المنطق وقوة الحجة والاقناع .

وقد آن لهذه المؤسسات أن تعود لمسرح الحياة لتعيد للثقافة الاسلامية لمعانها وشبابها وتجعلها قواما من العمل الصالح وبذلك تخرج للحياة جيلا جديدا من العلماء القادرين على مواكبة الحياة وعلى الكشف عما في صلب الدراسات الاسلامية من قدرة على أن يقود الاسلام الحياة وأن يكون نبراسا لهذا العالم الحائر .

وقد آن الأوان أيضا لمؤسساتنا التعليمية والتربوية أن تعيد النظر في مناهج التربية الاسلامية وأن تقدمها للناشئة مصفاة وأن تكشف عن وجوه القوة والخير والفضيلة الموجودة في دنيا الثقافة الاسلامية التي قلنا عنها : إنها تتسم بالشمول التام وتتضمن خيري الدنيا والآخرة .

وهذه خطوة تفرض الا يترك أمر هذه الثقافة للاعتباط أو التهميش بل لابد من الاعداد لها وتكوين جيل من الأساتذة والمربين الذين يستطيعون

أن يمثلوا هذا الدور الكبير وأن يربطوا بين الماضي والحاضر وأن يساهموا في إذكاء جذوة الدعوة إلى الله بوساطة قوالب الثقافة الاسلامية وأساليبها الناجعة .

ونظرا لما تتصف به الثقافة الاسلامية من تفتح وتطلع إلى الأمام فإنها لا تنكر على شباب الأمة أن يطلب المعرفة أني وجدها ، وذلك لتوسيع الآفاق والاستزادة في ميدان الخبرة .

لكن ذلك مشروط في البداية بتحصين هؤلاء الشباب بالأصول الاسلامية وامدادهم بمعانيها الانسانية الرائعة وبعقول صقلت ودربت على إحكام التفكير وسلامة الحكم وقدرة مكينة على العمل المنظم وتشوق إلى اكتشاف المجهول .

إننا عندما نرسل شبابنا إلى البلاد الاجنبية للدراسة والبحث وفق الصورة السابقة ، فإننا نكون مطمئنين إلى أنهم سيزدادون فهما للحياة ولقدرة الاسلام على صنع الرجال وتكوين الأبطال .

وهذا من شأنه أن يجعل هذه البعثات - فيما بعد - قوة في الدعوة إلى الله وتوحيده والتزام حدوده . قال الله تعالى :

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة/ ١٢٢

إن حملة الثقافة الاسلامية مطوقون بأمانة إنسانية غالية ينبغي أن يسعوا سعيا لا يكف ولا ينى . إلى تمحيص تراثها واستصفاء روائع الاسلام الدائمة الألق ، وتفسير معانيه بتعبيرات كل عصر ونقلها نقلا حافزا خلاقا . إلى العقول والنفوس المشوقة كي تلبي نداء السماء وتفيء إلى أمر الله تعالى .

طهارة القلب

للأستاذ / مصطفى بوهلال

لحمة في صدر كل إنسان خافقة عاملة ، صغيرة الحجم هامة الشأن ، عليها مدار النجاح ومنها الخلاص .. هي صمام الأمان - إن استوت على الطريقة المثلى - الأمان على سلامة الجسم ، وحسن الاستقامة والهداية .. وهي مسعر الخسران - إن جنحت الى الاعوجاج .. الخسران للجسم والمصير دنيا وآخرة .. انها القلب ، منظم دورات الدم ومنقيه ، ومنسق توزيعه على أجزاء البدن .. القلب موطن شتى الانفعالات والعقائد والرشاد ، والرأفة ، والرحمة ، والتزكي ، والخوف ، والرجاء والقسوة والاشمئزاز ، والحسرة ، والغيظ والايمان والكفر والنفاق ..

فالقلب أداة الحياة والمنشط ، فإن آمن بالله المصور تبارك ، هدي الى صراط مستقيم ، ومنه سرى الاهتداء ، وتوزع الى سائر الأعضاء . فإن استقر الدين بالقلب المؤمن جرت المبادىء مجرى الدم في الشرايين وانه لدم زكي طاهر لا ينتج الا أعمالا وحركات مستقيمة !!

قال الله تعالى : (**ومن يؤمن بالله يهد قلبه**) التغابن/١١ - من هذا البيان الإلهي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم - بتزكية القلب ، فإن في طهارته صلاحا شاملا ، وان في نجاسته فسادا مدمرا .. نادى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأوعى وأنذر ، قال : (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح

الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب) البخاري .

ولقد استبان ان المناشدة بتربية القلب ، هي المفتاح والعمدة لبلوغ النجاة ، فأولى المراتب توثيق صلته بالله القادر المطلع على السرائر المحاسب العادل ، تقدست أنواره . قال تعالى :

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) ق/١٦ .

فالله تعالى معنا على الدوام ومؤيدنا بعونه وكرمه إن اتقيناه ، والقلب المتصل بالله دوما يمده المولى بنور من عنده : **(الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)** البقرة/٢٥٧ .

ولذا تلقى هذا القلب المؤمن الذاكر ، مطمئنا معافى سعيدا ، محصنا من الأمراض كالحقد والأثرة ، واليأس والطمع ،

والحسد والقسوة والملل .. وكيف يخالطه شيء من ذلك وهو عامر بالثقة في الله ، مزود ببركاته وأفضاله ، مطمئن منشرح بما أعطاه ربه من توفيق ومدد

واهتداء : **(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب)** الرعد/٢٨ .

وإنك لواجد مطمئن القلب بذكر الله ، هذا المؤمن المتيقظ الضمير والعقل والروح تجده في محاسبة مستمرة لقلبه ، في عراك داخلي معه ومشادة .. في مراجعة يقظة لهذا القلب حتى يحافظ على صلاحه ،

ويزكي توبته النصوح ، لذا تلقاه حذرا منتبها مستعينا بالبارىء المعين في سلوكه ، خاشعا له سبحانه في التعبد والذكر ، خشية الانزلاق والمروق عن الصواب ،

فهو - إذن - دائم الرهبة من الآثام .. وما أروع تصوير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقلب المسلم المتيقظ المتحفز على الدوام لإقبال الفضيلة وإجلاء الرذيلة ، حين أصل فقال :

« إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا (أي نحاه بيده فوق أنفه) ...
- البخاري ومسلم .

فمن شأن المؤمن ذي القلب المطمئن : الاستمرار على تنظيفه من الأكدار وحمايته بالتوبة والانتباه للصالح من الطالح .. على جعل هذا القلب مفتوحا على الغير بالرحمة ، فعن ابن عمر قال :

«صعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : يا معشر من قد أسلم بلسانه

ولم يفض الايمان الى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ،

ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » رواه الترمذي .

وان مؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم ومحصي أخطائهم لشقي قلبه ، لأنه لم يشفق لم يرأف ، لم يلن ، لم يخلص النصح ، لم يعف فيرفع أذاه عن خلق الله .. لم يرحم نفسه ولم يرحمهم فإنه لشقي .. شقي .. عن أبي هريرة ـ

رضي الله عنه ـ قال : « سمعت أبا القاسم يقول : « لا تنزع الرحمة إلا من شقي » ـ رواه الترمذي .

إلا أنه لمن أوسع الرحمات وأسمى السعادة غسل القلب من الآثام .. وصيانته من الوقوع في العصيان ، وتنظيفه من الشر ،

وجعله القاضي العادل والحارس الفاضل في كل نزاع وأمر ، وعندها يتوطد الأمن ويعم الخير ، ويتم الفوز ... لقد حصل ما أثار ويثير القلوب ، ويدغدغ العقول ويحيي

النفوس .. ذلك أنه في لحظة ضعف .. في هجمة عارمة من الاشتهاء .. في زحفة للفتنة والتبرج كاسحة .. في جولة

للشيطان كائدة : سها قلب وغلب ، فارتعش للزينة وخفق خفقات غير

مشروعة ، فانتشى الجسد كله بنشوة الجنس ، بل قل : وتنجس الجسد بالشهوة الحرام فكان عقاب الله .

لقد سقط في أحضان الفاحشة ..

هوى في المحظور

خارج المدينة المنورة ـ ! واستفاق القلب حين بردت الشهوة ، فلعن ابليس لعنا مؤبدا ، ووبخ القلب الخافق توبيخا كاويا ، وأقبل

المقترف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر أذيال الحسرة والندم .. أقبل يقوده قلبه الحارس الفاضل عله ينقى ويبرأ ويكفر .. !

سعى ما عز بن مالك وقد دان قلبه ، إذ (الكيس من دان نفسه)

أقبل المذنب الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليستعين به على تطهير قلبه الآثم .. فصرح معترفا

شاهدا على نفسه ـ حيث لم يره أحد ـ تائبا متنظفا .. فماذا قال ؟

قال : « يا رسول الله إني زنيت ، فأعرض عنه ، فتنحى تلقاء وجهه فقال له : يا رسول الله إني زنيت ؛

فأعرض عنه حتى ثنى ذلك عليه أربع مرات . فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه رسول الله ـ

صلى الله عليه وسلم ـ فقال : أبك جنون ؟ قال : لا .. قال : فهل

أحصنت ؟ قال : نعم .. فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اذهبوا به فارجموه ...) رواه مسلم .

اختار ماعز تحصيل البراءة بالحد (الرجم) من غير أن يسأل أو يشهد عليه من الشهود أربعة ، مع أن له طريقا الى سقوط الإثم بالتوبة ـ كما يقول الإمام النووي ـ

لتيقن سقوط الاثم ، بخلاف التوبة فيخشى أن لا تكون نصوحا فلا يسقط الإثم ..

وانه ليس اعتراف مباهاة وتبجح ، كما يتجاهر به معاصرون لنا ، إنما هو قمة القمم في العزم على تطهير القلب ، إنما هو أوثق الصلات وأعلاها بالخالق تعالى ،

فإليه المرجع والمآب ، ومنه التقى والصفح .. ولم يخف الإعدام رجما فؤاد غاوية أخرى .. لم يرهب الغامدية وهي الساعية للتطهر ايضا ما حصل لسابقها ،

وهي المرأة الرقيقة الوجلة ، وكيف ترهب وهي مسارعة إلى مغفرة من ربها ورضوان ، «فقالت : يا رسول

الله ، إني قد زنيت فطهرني ، وأنه ردها فلما كان الغد قالت يارسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى .

قال : أما لا فاذهبي حتى تلدي ..

فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت هذا قد ولدته . قال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفع الصبي الى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها الى صدرها وأمر الناس فرجموها .. » رواه مسلم .

وماج الناس ناقمين ، لكن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ حين قال عن ماعز : «لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم » وحين

قال عن الغامدية : «لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من اهل المدينة لوسعتهم»وهل وجدت توبة

أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى ! فاللهم اغفر لنا ولجميع المسلمين ، وتب علينا وارحمنا يا أرحم الراحمين .

من قصص

المذاهب المعاصرة

هكذا تقول

التصور الوجودي :

عندما يريد المهندس أن يقيم عمارة ، فإنه يتخيل أولا الوضع التصميمي الذي ستكون عليه تلك العمارة . ارتفاعها ... عدد طوابقها .. احجام حجراتها ألوانها . نوع زجاجها الى كل ما يتصل بها حتي الأشياء الكمالية فيها .. من بروز ونقوش الى غير ذلك . مما يجعل العمارة قائمة في ذهنه صورة متكاملة في خياله ـ يضعها بعد ذلك رسما على الورق ثم ينقل هذه الصورة تنفيذيا الى الطبيعة .

هذه الفكرة عن العمارة هي صورتها ـ تصميمها ـ الوضع الذي ستصير اليه بعد وجودها .

اي ان كينونة الشيء هو وجوده ـ والفكرة التي اقيم عليها هذا الشيء هي الصورة أو المثال .

وبين هذين الأمرين : الصورة والأصل تذهب الفلسفة وتجيء وقد اجمع كثير من الفلاسفة على ان الصورة تسبق الوجود .. وان وجود الشيء دليل على وجود تصور مثالي له سابق عليه .

واستدل كثير من الفلاسفة من ذلك على وجود الله . إذ ان وجود الصورة يقتضي بداهة وجود المصوِّر .. لأنه هو الذي ينشيء الكائن على هذه الصورة التي قدرها من قبل .

وفي دنيا الناس ـ والأشياء غالبا ما يأتي الوجود أقل كمالا من الصورة التي لا تستطيع عملية الإخراج ان

الوجودية

للاستاذ محمد / لبيب البوهي

تاتي بها كاملة قبل تحويل الفكرة إلى عمل ، ولذلك ذهب كثير من الفلاسفة والمفكرين الى ان جهاد الانسان وسعيه يدوران حول تكميل ذاته حتى يصبح مطابقا للصورة الكمالية التي فطر عليها أو قريبا منها .

ماذا تقول الوجودية في ذلك ؟ :

ولكن الفلسفة الوجودية تقوم على عكس ما تقدم بيانه .. فهي لا ترى ان هناك صورة مثالية سابقة على الوجود . ولذلك فهي تفقد ميزة المرونة في معالجة الحياة ، ذلك ان الفطرة التي تجعل الوجود قائما على صورة مثالية سابقة تجعل للمشاكل حلولا . لأن الحل عندئذ يكون في تصحيح الوضع للرجوع به الى الأصل أي الى الفطرة التي فطر عليها وجوده .

فالوجودية لا تعترف بفطرة كامنة في الانسان .. ولذلك فهي لا تربط صاحبها بأي مثل ولا تقدم له صورة يسعى إلى تحقيقها في ذاته ليقترب من الكمال .

لاشيء من ذلك وهي بذلك تناهض أية فكرة دينية تتجه بالانسان الى التسامي او الى طريق الله .

وبذلك توصى اصحابها بعدم الارتباط بأية فكرة سابقة لا تنبع من ذاته وتوحي اليه بلذة الاحساس بكبرياء كاذبة شيطانية بأنه هو إله نفسه .

واذا كانت كل المحاولات الفلسفية الجادة تحاول ان تنير لصاحبها طريقا ما فإن الوجودية لا توقد له شمعة ولا تمهد له طريقا وتقول له انت صانع نفسك وإله وجودك فانطلق على هواك

لا علاقة لك بشيء ولا بالآخرين .

الحيرة في دروب الحياة :

ولما كان الانسان الوجودي هو إله ذاته فسوف تتعدد الآلهة وتتشابك طرائقها وتضطرب لأن التقديـر الوجـودي لانسان ما سوف يختلف عن التقدير الوجودي للآخرين ..
والوجودية تجادل عن نفسها في ذلك فتقول انها لا تقبل توجيها يأتي من خارج الذات وهو قول عقيم وغير منطقي لأن وجود الفرد تحكمه قوانين تربط بينه وبين الآخرين سواء اراد ذلك او لم يرد ، فهو لا يستطيع تنفيذ هواه الذي هو عبد له ، وبذلك يعيش في قلق وصراع نفسي قد يستعذبه كما يستعذب الأجرب حك جلده .

الوجودية والأديان السماوية :

ومـمـا تقدم يتضـح ان الوجـودية تعارض كل دين سماوي وكل فلسفة أخلاقية ، لأن الفرد الوجودي غير مكلف بالأخذ بتقليد سابق او بعرف او بتوجهات من اي مصدر كان لأنه هو وحده خالق مشيئتـه ، وعلى ذلـك فليست لديه أية تعليمات لتحقيقها ، وليست أمامه حقيقة ما على الاطلاق ، فالحقيقة الأولى والأخيرة هي انه موجود محاصر في قوقعة ذاتية في انفصال تام عن كل شيء وكل احد وهـذه هي لـذتـه ـ وكبـريـاؤه .. وحريته ، فلو رأيت خمسة وجوديين مثلا فلن تجد خيطا يربط بين احدهم والآخر ، ولو وجدت عشرة أو لو صار كل أهل الأرض وجوديين فهناك بقدر عدد سكان الارض ذوات منفصلة لا تتشابه في شيء الا ان يكون ذلك مصادفة .

من هو اللا وجودي ؟ :

وفي العرف العام فإنه يمكن في تقدير الموازين الانسانية ان نعتبر المخلوق الوجودي هو لا وجودي بـالنسبة للحياة ذاتها ، فهو غير مرتبط بها ولا يهمـه مصيرهـا ، أو اي أمر من امورها ، فهو في حالة عدم نفساني يجتر ذاته الفردية .
وقد تكون هنـاك بعض اتجاهـات « لهيدجر » و« سارتر » من فلاسفة الوجودية يجيزون فيها ان يتصل فيها الفرد الوجودي بالوجود العام اذا كان ذلك يطابق هـواه ، ولكن لا يكون بصورة تجعل الانسان الفرد حاملا لأمانة ما إزاء الكون كما يكون الجزء بالنسبة الى الكل ، فهو كطائر له حرية الطيران مع السرب او ينفلت عنه ، والوجودي قد ينظر الى الآخر المرتبط بأمانة ما إزاء الكون وإزاء الآخرين بأنه ليس وجوديا فحسب اي معدوم الوجود الـذاتي ، بل إنـه جبان وضعيف لأنه يربط وجوده بما هو خارج عنه .
وانت تقول لهم ان ذلك سيجعـل الوجودي دائما في قلق وهم لأنه لا يستند الى القواعد التي ارسى عليها الكون أصوله ، فيقولون : نعم ـ نحن نرحب بهذا القلق النفساني لان من شأنه ان يجعل الفرد الوجودي يقظا متحفزا معتمدا فقط كـالطير عـلى جناحيه هو .

الانطلاق المتحرر الكاذب :

والوجوديون يسمون الانطلاق المتحرر مع رغبات النفس عملية خلق ، لأنها تبيح لصاحبها عمل ما يشاء ويختار ، وهذه هي غاية الوجود عندهم دون شرط للاتصال بالوجود الكوني العام الذي يحد من حريته ، وهو غير مهتم بشيء من عمار الكون أو خرابه ، ولكنه بسبب وجوده مع الآخرين . فإن ذلك يشبه وجود راكب منفرد في قطار يحوي مجموعات من الآخرين ، ولكنه حر في الجلوس معهم أو الوقوف بعيدا ، او حتى حريته في أن يهبط في أية محطة يشاء ، او يقفز من النافذة ، بل ربما وجد لنفسه الحرية في ان يفك احد مساميره .

لماذا نشأت الفكرة اللا دينية ؟ :

لأن الوجودي لايعترف بشيء غير مرئي .. وبما أن القيم والقواعد والفضائل هى مجرد أفكار مجردة لم يساهم في وضعها فهو لايعيرها تقديرا أو اهتماما .. والوجودي لاينظر إلى ماخلفه السابقون ولايربط نفسه بأفكار لهم ، إنما هو يبدأ تكوين ذاته تلقائيا منذ أحس بوجوده هو ، وهذا الاتجاه يفتح أبواب التيه والضلال لأنه لايرتبط بتجارب البشرية والقيم التي نجمت عن هذه التجارب ، ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الادعاء مجرد وهم تزينه النفس ولا سند له من الواقع الحقيقي ، وأبسط مايؤيد بطلان زعمه أنه رب ذاته وخالق ارادته ومشيئته وأن ذلك ليس كله من صنعه كما يتصور ، لأنه من سلالة سابقة ورث عنها على الرغم منه مقوماته الذاتية والعقلية وغير ذلك مما هو معروف .

الله ... ومشاكل الوجودية :

وسارتر ـ لا رضي الله عنه ـ يعلن أنه لايوجد لدى الله أى حل لأي مشكلة من مشاكل الوجود وذلك لسبب بسيط وهو أن الله غير موجود باعتراف سارتر وإخوانه .. كما يرى على هذا الاساس بطلان الحلول الدينية لمشاكل الانسان بالاضافة الى أن الوجودى لم يختر هذه الحلول فلا وجه لأن تفرض عليه فرضا .. فالدين عند هؤلاء القوم مجرد خرافة وهو مجرد نسيج من التصورات الغيبية .. وعلى هذا التقدير فإنه لايوجد حل مشترك او متشابه للمشكلة الواحدة ، لأن الحل ينتج من دراسات فكرية للمشكلة ولما كان كل وجودي يختلف عن الآخر ذاتا وفكرا فلن يوجد لشيء ما تقييم متفق عليه . وهذا هو السبب في عدم وجود تعاليم أو وصايا يتواصى بها الوجوديون سوى : تقديس الذات ـ والقلق الفكري ـ والوحدة ـ والفرار من الدين .

كيركجارد وفلسفة الصمت :

وكيركجارد هو أول دعاة الوجودية ، وقد ولد بالدانمرك عام ١٨٥٥ وتقوم فلسفته على مبدأ الشك في كل شيء فلا يوجد شيء حقيقي ، فلا حيلة للانسان الا أن يتقوقع داخل ذاته .. ويمجد

كيركجارد الصمت وهو عنده صلاة الذات وغذاؤها لأنه يقطع حبل الاتصال بالغير ، ولعل هذه هى الحسنة الوحيدة في المذهب الوجودي إذا أتخذ الصمت سبيلا للتفكر ومحاولة اكتشاف أسرار الباطن : ولكن الوجودية لاترى ذلك دائما مادامت تنكر المنطق والفضيلة والدين . وهى المنابع الأصيلة التي يهتدي بها الفكر السليم .

الى اين تنتهي عبادة الذات ؟

ترى الوجودية انك لست موجودا ، إذا اعتنقت فكرة سبقك اليها غيرك ، فلا سبيل أبدا للاقتداء بشيء أو بأحد ـ لأن هذا هو الخروج عن الذات وفيه تدمير وجودها ، ولكن عليك أن تفتح الطريق لانطلاق إرادتك ، فإذا تلاقت في طريقها مع مايوحى به إبليس فأهلا بإبليس وبما يوحي اليه لأنه قد التقى بغير تدبير سابق مع ذات الوجودي في حرية ـ فحرية النفس الوجودية هى في اختيار الفعل بلا ضغط ولا إيحاء ولا مساندة عقائدية . ومادام قد اختار الفعل بحرية كاملة فهو إذن مسئول مسئولية تامة عما ينشأ عن هذا الاختيار من نتائج وتبعات .

وهذا الشعور القوى بالمسئولية الفردية يجعل الوجودي على يقظة دائمة مصحوبة بالقلق والألم ، ولابأس في ذلك ولاحرج لأن هذا هو طبيعته التي وجد عليها .

الوقوع تحت سيطرة الغرائز :

وهناك ظاهرة تتضح لنا من خلال ماتقدم هى أنه طالما أن الوجودي لايهتدي بقدوة ولا بفضيلة ولابدين ، فهو سيقع حتما تحت سيطرة الغرائز والهوى ، لأن كل حياته ستنبع من أعماق النفس التي ليس في أعماقها غير ذلك حين تكون الغرائز في عنفوان ضراوتها ، وكل سعادته في الظن بأنه يحسن صنعا . ولايخون حقيقته « كيركجارد» يقول إنه يمكن لوجودي ما أن ينتهي به الأمر الى الايمان اذا ماجاء ذلك نابعا من ذاته ، وهو تأويل أقرب الى الوهم إذ ليس هناك مايساند هذا الاتجاه ، فالايمان لاينبع من فراغ

الخطيئة والوجودي

وكلمات الخطيئة أو العيب ليس لها تقدير أو حساب عند الوجودي لأنه لم يفعل الا ما دعته إليه نفسه ، وهو على استعداد لاحتمال نتائج ذلك بلا حرج ، وعليك انت ان تسمي ذلك عيبا او إثما أو اتباعا للهوى ، فأنت حر ، كما أنه أيضا حر وله شأنه في انطلاقه الذي يراه .

والعجيب أن الشاب غير المحصن بتعاليمه الدينية والذي حرم من النشأة الصالحة قد يجد في ذلك ما يأسر لبه ويثير شهيته لممارسة ما تستنكره الفضائل لأنه وجد في الوجودية صكا يبارك له نزواته .

محور الحياة الوجودية هو الجسد :

وذلك كما يقول الفيلسوف جبريل

مارسل فكل إنسان تنبه للوهلة الأولى فوجد جسده ، فالجسد هو الكيان الذي وجدت الذات نفسها فيه ، ومن هذا الجسد يبدأ الانبعاث الخارجي فلا مقياس عند الوجودي الا بما يؤثر أو يتأثر به جسده ، وهذا الجسد غير مرتبط بصورة ما أو بقيمة ما . أو بنصيحة ما سابقة لوجوده .. ويقول «مارسل» إن الوجودية لاتكون مطية أبدا للمجتمع أو لما يسمى بالقيم أو الفضائل ، فهذه قيود تعترض مجرى النهر فتعوق سريان التيار .

وفي المجتمع الوجودي لايهتم إنسان بما يصيب الآخرين إلا في حدود مايحققه لذاته ، فالمجتمع والناس هم مجرد آلات يمارس من خلالها وجوده .. والوجودي يعلم أن كل شيء له ضده ، فالليل أمامه نهار ، والأرض أمامها سماء كذلك الوجود يواجه العدم أي الموت الذي يخافه كل الخوف ، لأنه ينهى كل شيء ، فليس هناك إله ستعيش الى جواره في حياة أكثر سعادة ، ولذلك فعليه أن ينهي حسابه مع الحياة في فترة دنياه .

الحقل الذي تنتعش فيه المذاهب الهدامة :

وجدت الوجودية على سبيل المثال بعض حظها لدى الشباب الذي عانى بعد الحرب فراغا روحيا واجتماعيا وتدميرا للنوازع الانسانية ، حيث انهارت الأعصاب لما أصاب الأسرة والحياة والحب والعواطف ، والزوجات والأولاد فأصيبت القيم المعنوية إزاء ذلك بصدع كبير ، ولم تجد النفوس المنهارة عزاء كافيا ، ولذلك كان المرعى الخصيب للوجودية في محيط الشباب الذي لم يحصن بالتجارب الانسانية او بوصايا الدين .

والوجودي حين رأى هذا الدمار يصرخ قائلا : إذا كان الله موجودا فكيف سمح بهذا الدمار لبني البشر ؟ .. وهو لايحاول أن يصغي بأن الانسان بانحرافه عن طريق الله هو الذي جلب على نفسه هذا المصير فالبشرية تعاقب نفسها بما قدمت ، وعليها أن تعود بعد هذا العقاب الى الطريق السليم إذا أرادت ألا تعاقب مرة أخرى ولنضرب مثلا عجيبا نختم به هذا المقال فالوجوديون يرون أن «زليخا» امرأة العزيز التي راودت فتاها يوسف هى مخلوقة وجودية بدرجة كاملة لأنها بمنتهى الحرية والصراحة عبرت عن ذاتها بمحاولة ممارسة أحاسيس وجودها ـ أما يوسف فليس وجوديا على الاطلاق لأنه لجأ الى الفرار من نفسه مستنجدا ومستغيثا بقوة خارجية منقذة .

فماذا تبقى بعد ذلك لدى الانسان المسلم ليضع الوجودية في الميزان !؟

تأديب المتعلّم

فطر الله تعالى النفس البشرية ـ وهو أعلم بها ـ على حب غريزة التملك وجبلها على الخوف والرجاء ولذا شرع الثواب والعقاب ، فتفزع النفس عند مواطن الترهيب والنذير ، وتطمئن عند التبشير والترغيب في فعل الخير فتسارع الى عمله لتحصل على ثوابه في الدنيا والآخرة فيستقيم حال الفرد والجماعة .

وأغلب الآيات الواردة في القرآن الكريم والأحاديث النبوية في السنة عن العقاب هي أصلا لتأنيب المذنب وتأديبه وزجره ورده عن فعل السيئات ، فينزع إلى وجوه الخير ويكتم ويقاوم نوازع الشر في نفسه وتتفجر ينابيع الخير في داخله ومن ثم فالعقاب حق شرعه الله لكل ولي أمر له القوامة والسلطان على أمر من أمور المسلمين ، فشرع الاسلام منهجا قويما يسير عليه الحاكم والقاضي والزوج والمعلم والوالد في تأديب من يعولونهم ويرعونهم ومن ثم قرر علماء التربية في الاسلام عدة مبادىء في العقاب مستمدة من مبادىء الاسلام نفسه هذه المبادىء هي على الترتيب : النصح والارشاد ، ثم التأديب على انفراد ، ثم التقريع على رءوس الاشهاد ، ثم الضرب آخر الأمر .

والذي نعنيه في مقامنا هذا الطريقة المثلى في تأديب المتعلم أثناء التعلم والوصول الى تصور اسلامي عام كما رسمه علماء المسلمين من خلال رؤية اسلامية خالصة في فكرهم التربوي الاسلامي ، ولا شك أن السنة النبوية المطهرة عالجت هذا المقصد الذي تعنى بدراسته في مواطن وأحاديث كثيرة يضيق المقام عن حصرها ،

في المدرسة الاسلامية

للاستاذ/ علي السيد السيد فايد

فهذا ابو مسعود الانصاري يروي عن نفسه فيقول : « كنت أضرب غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا : اعلم أبا مسعود ! لله أقدر عليك منك عليه ، فالتفت ، فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله: هو حر لوجه الله ، فقال : « اما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار » رواه مسلم .

ونفهم من حديث ابو مسعود أن ضرب الغلام إثم وجرم كبير ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو لم تفعل للفحتك النار » يقصد عتقك له وإعطاءه الحرية . والرسول صلى الله عليه وسلم يحدد السن التي يباح فيها ضرب الطفل ضربا غير مبرح في قوله : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه البخاري .

ففي سن ما بين السابعة والعاشرة تتكون لدى الطفل القيم والمبادىء وهي أخصب مرحلة لتكوين الضمير الديني ، ولذلك نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يرسم سياسة عامة في رياضة الاطفال وتأديبهم على فعل العبادات التي تتطلب إرادة صلبة ورياضة طويلة للتعود على أدائها فتصبح عادة متأصلة في نفسه اما دون السابعة من عمره فيؤخذ باللين والرفق واللطف والترغيب في فعل الصالحات من الأعمال واتباع كافة المبادىء السابقة ما عدا الضرب وأما الطفل الذي يتجاوز عمره العاشرة فانه يعي كل ما يفعله فلا بأس من ضربه ضربا خفيفا عند الضرورة مع

الحرص على الاتيان بكل جميل أمام الطفل ليقلده ويقع في نفسه ما يدعى الى عمله ، فالطفل ابرع من غيره في التقليد والمحاكاة فاحذر من فعل السوء والقبيح امامه ولا تعاقبه الا على فعل السوء وترك المعروف ، وللعقاب مراتب وضروريات ومحاذير يراها علماؤنا التربويون كما سيتضح ان شاء الله .

العقاب بين الواقع والتبريرات :

والعقاب يتراوح بين النظرة المؤنبة والعبس في وجه الطفل والتأنيب والتقريط المؤلم في غير جرح للكرامة والعزل والحرمان من التقدير الاجتماعي للطفل بين أقرانه وغيرها من صور والوان العقاب المتعددة حتى تصل الى العقاب الصارم (الضرب) وهو اجراء سلبي لا يأتي بنتيجة ايجابية في تربية الصبيان فكثيرا ما يتسبب في كسر نفوسهم كسرا لا يجبر ، وكثيرا ما يتسبب في أمراض نفسية وعصبية لهم ، وهنا تصدق الحكمة القائلة « الضرب قتل بدون اراقة دماء » لانه يشوه معالم الشخصية السوية في مهدها ويعرقل نمو السلوك السوي داخل الانسان ، ويشب الاطفال بسببه على الجبن والخوف من مواجهة المواقف الجديدة والاحجام عن المبادأة التي تتطلبها مواقف الحياة الاجتماعية ،ويشكل الأطفال على الانطواء أو العدوان على الآخرين ، ونعتقد أن ضحايا الامراض النفسية والعصبية وضحايا التشرد جلهم - في اي مجتمع - يرجع الى ذلك الاسلوب التربوي الخاطىء المنافي لابسط قواعد الانسانية ويجافي روح الدين الاسلامي فهذا معلم يستخدم سوطا غليظا يقرع به الاطفال على رؤوسهم وآخر يضرب الاولاد ضربا مبرحا على أقدامهم والأفظع من هذا ترى معلما يضرب على الوجه أو يأمر زميل التلميذ بأن يقوم بتأديبه بالضرب على الوجه وغالبا ما يقرن المعلم الضرب بالتقريظ والتقبيح المنافي للشرع .. وترى آخر يضرب بقدمه او يصدم رأس الطفل في السبورة ولا عجب ! ولست مبالغا في قولي هذا فهو لا يتجاوز الواقع الذي نعد قطعة منه عشناه ولمسناه عن كثب اثناء تعلمنا صغارا والان اثناء تمرسنا بهذه المهنة الشريفة .

والسبب في نظرنا أكبر من أن يكون جهل المعلمين بالأساليب المثلى والطرق الصحيحة في معاملتهم مع الأطفال المتعلمين فالواقع التربوي يعكس متناقضاته وعيوبه من خلال جزئياته فلا تزال غالبيتنا تستمد خبرتها التربوية بالتقليد والمحاكاة لزميل قديم في مهنة التدريس ، وهذا لا شك غاية الجمود والتحجر ، فالمعلم في أمس الحاجة الى الاعداد الأكاديمي والتربوي السليم الذي يتفق وروح العصر ، وهذا لا شك موجود بالفعل ولكن تعتريه بعض نواحي القصور ومن العجيب كلما زجرت معلما على انتهاجه هذا الأسلوب المهين التمس لنفسه مبررات واهية لا تكفي بالطبع لأن تكون سببا في ارتكاب جريمة لا تغتفر الا بعتق رقبة من الرق او ما يعادلها بمقتضى العصر كما دل على ذلك من حديث ابو مسعود السابق

فمنهم من يعتقد أن العقاب (الضرب) وسيلة فعالة في تعليم الولدان، ومنهم من يلتمس لنفسه العذر بأنه يتحمل مسئولية تدريس مناهج طويلة والمشرف عليه لا يرحم في وضع التقريرات وينهي لك تبريره بأنه قطعة من نظام تعليمي سيئ، ونجد الكثير منهم يعترف ضمنا بعدم صحة ما يسلكه من أساليب في تعامله مع الاطفال.

روى لي أحد الأصدقاء عن نفسه أن كل من أخطأ من التلاميذ في حفظه أو قصر في عمل الواجب الدراسي أو تباطأ في الاجابة على سؤال فانه يضع قطعة من النقود في صندوق وضع بالفصل ليشتري بنفس النقود علبة من الحلوى ويفوز بقطعة منها كل من اجتهد وحصل دروسه وحفظ النصوص واسرع في الاجابة. وقال الصديق هذا لا يمنع التلميذ ذا المستوى المتوسط ان يحصل على قطعة من الحلوى بالاجابة عن سؤال يتناسب ومستواه. ورغم ان الصديق جزم بفاعلية هذه الطريقة التربوية الا انه لم يداوم عليها لماذا؟ قال: ان اللوائح والأطر التعليمية تمنعني من أن أستمر بهذه الطريقة فجمع النقود على هذا النحو ينافي الأطر المنظمة للعملية التعليمية لأنها لم تنص على شيء من هذا القبيل. وبالوقوف على طريقة الصديق التي تعتبر مجدية حقا فهي تجمع بين الثواب والعقاب في تعليم الولدان وتنم عن روح المبادرة من قبل المعلم وان كان لم يستمر لتبريره السابق الذي يدفعنا لان نقول مرارا وتكرارا إن المعلم نقطة على محيط دائرة نظام تعليمي كامل يتحرك حيث تتحرك.

وطريقة الصديق تبدو لاول وهلة انها حل ناجع وطريقة سليمة في علاج المواقف التعليمية مع التلاميذ، ولكننا لو امعنا النظر في الابعاد والمرامي الحقيقية التي تحققها هذه الطريقة فسنجدها تركز على الناحية المعرفية، فشغله الشاغل المحتوى العلمي ومدى حفظ التلميذ له وتدوين الواجب المدرسي المقرر عليه، وأغفل اهم الجوانب التي تشكل خطوطا رئيسة من أهداف العملية التعليمية والتربوية، ألا وهي السلوك العملي والمواقف الأخلاقية له داخل المدرسة وخارجها فتركيز الصديق على جانب واحد جعله يغفل السلوك الاخلاقي والصحي والاجتماعي للتلاميذ.

وثمة ملحظ أخير لطريقة الصديق ان اسلوب العقاب الذي استخدمه كان تأثيره أقل فاعلية لأن القطعة المعدنية التي يدفعها الطفل فوتت عليه عقابا اشد يعمل له ألف حساب لتلاشيه فسهل عليه الأمر واستهان به.

وعلى كل فنحن على موعد مع أعلام الفكر التربوي الاسلامي وارائهم في عقاب وتأديب المتعلم لعلنا نعي عنهم ما يقوم مسيرتنا ويعالج بعض مشاكلنا التربوية.

● تأديب المتعلم عند الامام القابسي ●

هناك من الاسباب ما يجعل المعلم يؤثر الرفق والعفو مع التلاميذ بدلا من

العقاب ، فيجب ان يكون العفو أسبق من العقـاب ، والصبـر مقـدمـة الحسـاب ، والقـابسي أخـذ بهـذه القاعدة فأمر المعلمين بالـرفق مع الصغـار ، فالـرفق بالكبيـر المذنب مرغوب فما بالك بالطفل القاصر الذي لم تنم قواه العقلية بعد والتي هي مـوطن الادراك والفهـم والتكليف فيقول : « ومن حسن رعايته لهم ان يكون بهم رفيقا » ويستشهد الامام القابسي للرفق بالولدان في التعليم من القرآن الكريم والسنة النبوية وما ورد في الأثر عن السلف الصالح ، وفكر القابسي التربوي في جملته يصدر عن روح اسلامي خالص فـاجتهادات القابسي في مضمار التربية لا تخرج عن دائرة الدين الاسلامي الحنيف .

والمعلم في نظر القابسي بمنـزلة الوالد وعوض للأطفال عن آبائهم لانه هو المختص بأمرهم ، المكلف بتأديبهم ورعـايتهم ، وهذا يتطلب منـه ألا يكون : « عبوسا ابدا من الفظاظة المقوتة ويستـأنس الصبيان بهـا فيجرءون عليه ولكنه اذا استعملها عند استئهالهم الأدب صارت دلالة على وقوع الأدب بهم فلم يأنسوا اليها فيكون فيها اذا استعلمت ادبا لهم في بعض الاحـايـين دون الضـرب » فالواجب على المعلم ألا يديم العبوس في وجوه التلاميذ ، وعلة ذلك نفسية لأن تكرار شيء ما يورث الاستئناس واذا استأنسوا العبوس اعتادوا عليه والعادة تميت الشعور وبذلك تنعدم فاعلية الشعور وتأثيره المطلوب فضلا عن ذهاب هيبة المعلم ، فيجب على المعلم أن يستعملها في موضعها وقد يقرنها بالضرب عندما يستحق الجرم ذلك .

والامام القابسي يرسم سياسـة عـامة وخطـوات رشيدة .. للمعلم يتبعها في فصله مع تلاميذه نوجزها في الآتي :

● يجب ان يحيط المعلم نفسه بسياج من الـوقار والهيبـة ، فلا يتبسط للتلاميذ ويضحك لبعضهم حتى ولو صدر منهم ما يرضيه .

● لا يعاقب بالضرب اول ما يصدر من التلميذ خطأ او تقصير بل عليه أن يصبر وينبه مرة بعد مرة ولا يستخدم معه اسلوب العزل والتوبيخ بالفاظ تصبح القابا يلصقها اقـرانه بـه فيعيرونه بها .

واذا فشلت الاساليب السابقة من العقاب واستحق الضرب فلا بأس « اعلم ان الضرب من واحد لثلاثة « واذا ظهر من التلميذ ما يستأهل عليه اكثر من ذلك كأن يكون ارتكب جرما ، او هرب من المدرسة او حصل منه تقصير مستديم في كتابة الـواجب المدرسي او اهمل في حزبه او أي امر يـرى المعلم بحسه التـربوي أنـه يستحق عليه التأديب فوق ثلاث عليه ان يـرجـع الى ولي أمـر الطفـل ويستشيره في حال طفله ويبين له ما يستحق فان أذن له فليضربه من ثلاثة الى عشرة ولا يتعداهـا : « وصفة الضرب هو ما يؤلم ولا يتعدى الالم الى التـأثير المشنـع او الوهن المضر » والقابسي هنا يقرر مبدأ تربويا سبق به عصره ، وهو ضرورة ارتباط المدرسة بالمجتمع .

● ويرى القابسي انه لا مانع من

الـزيـادة عن العشـرة مـع بعض الصبيان سيئي الخلق جافيي الطبع وهذا في القليل النادر ، وينصح بعدم توكيل احد الصبيان بضرب وتأديب زميله فان هذا يجلب النزاع ويشيع الكراهية والبغضاء بينهم ، ويجب تجنب الرأس والوجه عند الضرب ، وعلة ذلك واضحة فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب الوجوه لما فيه من اهانة واذلال ، والضرب على الرأس قد يوهن الدماغ ويتفق القابسي مع ابن سحنون في ان الضرب على الرجلين « اي القدمين » فيـه امن وسلام « الضرب غير المبرح » عن الرأس والوجه .

● نصح القابسي بخروج التلاميذ قدرا من الوقت للعب والترويح عن النفس وتناول الطعام وهذا لعمري ما تجري عليه المدرسة الحديثة من وجود فترة راحة في منتصف اليوم الدراسي .

● وينصح بألا يعاقبوا بمنعهم من اللعب والأكل لأنه عقاب صارم مبرح فـالطفل لا يستغني عن حـاجتـه الضرورية من الأكـل مدة طـويلة وحرمانه منه قد يجعله شرها في كبره وقد يلجأ الى السرقة ليشبع هذه الحاجة الفطرية ، وحرمانه من اللعب وهو لا يستغني عنه ولو لوقت يسير يعطل نموه السليم .

● تأديب المتعلم عند الامام ابي حامد الغزالي ●

قضية ثواب وعقاب الطفل من القضايا التي لاقت اهتماما عظيما عند الامام الغزالي فقد دون لنا عصارة فكره وخلاصة تجربته التربوية أثناء عمله بالتدريس ، ويعتبر الغزالي تعليم الطفل وتربيته نوعا من الريـاضة والتمـريـن الـروحي والتـهـذيبي والمعلمون ضمن من يتحملون هذه الامانة التي تعلق في اعناقهم،ودورهم في التهذيب والتربية لا يقل عن دور الآباء،والصبي في طفولته يمر بمرحلة هامة تعد الاساس لما يبنى عليه فإن كان الاساس متينا خرج البناء قويا راسخا ايضا ، والامام الغزالي يقرر قواعد عامة لكـل مرب في تـربية الاطفال ، فينصح المربي ان يجزي الطفل عن كل فعل محمود ولم يحصر وجوه الاثابة لانها تتسـع وتضيق وتتباين وتختلف باختـلاف الافراد والبيئـات فلكـل مـوقف حيثيـاتـه وظروفه ، والمهم في المكـافأة التي يحصل عليها ان تحقق له السعادة والغبطة بين اقرانه ويأخذها على الملأ فيفوز بالتقدير الاجتماعي منهم « ثم مهما ظهر من الصبي،خلق جميل وفعل محمود فينبغي ان يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس » واما اذا ظهر من الطفل ما يخالف الصحيح « فينبغي ان يتغافل عنه ولا يهتك ستره » ولعل الامام الغزالي يقصد من العفو والتغافل عنه وتجنب فضح السر على الملأ لكشف إعوجاج سلوكه «ولا سيما اذا استتره الصبي واجتهد في اخفائه» الا يجرؤ ولا يبالي بالمكاشفة ، بعد ذلك و « ان عاد ثانيا فينبغي ان يعاتب سـرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تعود بعد ذلك لمثل هذا وان يطلع عليك في مثل هذا فتفضح بين الناس »